جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

الإنسان في الدرس العقدي المعاصر
"مُحَمَّد إقبال أنموذجا"

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: عقيدة

الطالبتــان:
بوترعة شيماء
مصري خولة

تحت إشـراف:
د.بن كتفي زهير

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أحمد عامر باي	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
بن كتفي زهير	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
مُحَمَّد عمارة	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1439– 1440هـ/ 2018– 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله والشكر له وحده ﷻ أن وفقنا لهذا فله المنّة والفضل جلّ في علاه وبعد.

نهدي هذا المجهود المتواضع إلى والدينا الأعزاء الذين سهروا وتعبوا وضحوا لأجل هذه اللحظة وأَعظِم بها من لحظة، يقف المرء فيها على بعض ثمار جدّه ومثابرته فنرجو أن يكون هذا عند حسن ظن كل من انتظر منا ما يفيد وما يستزاد به من علم موثوق.

كما نهدي عملنا هذا للأستاذ المشرف: بن كتفي زهير ونشكره على كل ما قدم لنا من إرشادات ونصائح ثمينة على ضوئها اهتدينا إلى إخراج هذا العمل إلى الوجود فكل الاحترام له.

إلى أساتذتنا الكرام الذين رافقونا بعلمهم النير طيلة مراحلنا الدراسية إلى كل أفراد أسرتينا كما لا يفوتنا أن نذكر ها هنا من رافقنا طيلة هذه الرحلة الدراسية راجين للجميع أن تكلل جهودهم بالنجاح.

وفي النهاية نرجو أننا قد وضعنا بين أيدي الطلبة المقبلين على هذا التخصص دراسة يجدون فيها بعض ما ينهلونه ويتزودون به.

شكر وعرفان

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾[التوبة: 105]

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك.. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك أنت الله جلّ جلالك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. إلى نبي الرحمة مُحَمَّد ﷺ.

نثني بالشكر على أوليائنا الأكرمين لدعمهما وتشجيعهما المتواصل لنا على طلب العلم، ونسأل الله عز وجل أن يلبسهما لباس الصحة والعافية ويبارك في أعمارهما.

هانحن وقد وصلنا إلى هذه المرحلة الجامعية فلا بد من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة وفي معهدنا معهد العلوم الإسلامية، ومع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين في ذلك جهودا كبيرة في بناء الأمة من جديد. ونتفضل بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل، الأستاذ: زهير بن كتفي، الذي تفضل علينا بقبول الإشراف على هذه المذكرة ولم يدخر جهدا في مساعدتنا وتقديم العون لنا بإرشاداته القيمة وملاحظاته الدقيقة، بارك الله في علمه وعمله وعقبه.

ولا يفوتنا أن نرفع برقيات الشكر والثناء إلى من كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا، إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات فجازاهم الله عنا خير الجزاء.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله المرسلين وعلى آله وصحبه، وبعد:

التعريف بالموضوع:

يعد موضوع الإنسان من بين المواضيع التي اهتمت بها العديد من الدراسات والأبحاث على اختلاف مشاربها وفي جميع مستوياتها؛ فالبحث في ماهية الإنسان ومصيره وغايته ووظيفته في هذا الكون كان ولا يزال مدار اهتمام الكثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة قديما وحديثا. ويعد مُحَمَّد إقبال من بين أهم المفكرين والدارسين في العصر الحديث الذين عنوا بقضية الإنسان وأولوها أهمية عظيمة. فهو بحكم انتمائه للعالم الشرقي ودراسته المتعمقة للحضارة الغربية وخاصة الفلسفة الغربية بالذات تعرف بدقة على مكمن الداء ثم حاول أن يصنع الدواء فوجد بأن هذه الحضارة التي رفعت شعار "الإنسان" قد انتهكت وسلبت هذا الإنسان في أعز ما يملك ألا وهو "روحه" ووجهتهُ وجهةً مادية بحتة. وقد جاء بحثنا هذا ليحاول تسليط الضوء على هذه المسألة المهمة ومحاولة ربطها بالمجال العقدي الإسلامي.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية هذا البحث من خلال:

- تناوله للإنسان في الدرس العقدي المعاصر، حيث أصبح موضوع الإنسان هو الموضوع المسيطر على المعرفة المعاصرة، وبالتالي فهو موضوع واقعي بامتياز.

- يكتسب هذا الموضوع أهميته أيضا باعتباره إضافة لقضية التجديد في علم الكلام من حيث تناوله لأهم الموضوعات المعاصرة ألا وهو الإنسان.

- وتزداد أهمية هذا البحث في نموذج الدراسة الذي هو "مُحَمَّد إقبال"، ولا يخفى على أحد أهمية مُحَمَّد إقبال في درس الإنسان في العقيدة الإسلامية.

إشكالية البحث:

ومن هنا فإن الفكرة الأساسية التي يدور عليها بحثنا هذا هي الإنسان في الدراسات العقدية المعاصرة من خلال نموذج أساسي هو مُحَمَّد إقبال.

وبناء عليه فإن الإشكالية الأساسية المطروحة هنا تتمثل في هذا التساؤل الأساسي: إلى أي مدى تتجلى أهمية الإنسان في الدرس العقدي المعاصر من خلال فكر مُحَمَّد إقبال؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر فضلنا إرفاقها بسؤالين جزئيين هما:

- ما هي منابع ومقومات رؤية مُحَمَّد إقبال للإنسان؟

- وإلى أي مدى تختلف رؤيته وتتمايز عن فلسفة الحداثة الغربية؟

أهداف البحث:

ومن بين أهم الأهداف المرجوة من هذا البحث ما يأتي:

- إبراز نظرة مُحَمَّد إقبال للإنسان ومدى أصالتها في إطار العقيدة الإسلامية.

- تقديم موقف إقبال من الحداثة الغربية المعاصرة التي تناولت بحث الإنسان.

الدراسات السابقة:

وقد جاءت العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الإنسان عند إقبال من أهمها:

-دراسة دلال تليلاني الموسومة بـ: "الإنسان عند إقبال".

-ودراسة بالحمام نجاة المعنونة بـ: "ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر مُحَمَّد إقبال".

-وبحث خليل الرحمان عبد الرحمان بعنوان: "مُحَمَّد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية". وغيرها من الدراسات الأخرى التي ستظهر في صلب الموضوع. وفي الواقع قد استفدنا كثيرا من هذه الدراسات والأبحاث، ويبدو بحثنا هذا مختلفا عنها نوعا من الاختلاف باعتبار محاولة تناوله للإنسان عند إقبال في المجال العقدي الإسلامي.

أسباب اختيار البحث:

ومن بين الأسباب الموضوعية الأساسية التي دفعتنا إلى اختيار هذا البحث هي:

– مساهمة مُحَمَّد إقبال في إثارة وتسليط الضوء على أهمية الإنسان في العقيدة الإسلامية حيث تدخل هذه المسألة في صميم تجديد الدرس العقدي الإسلامي.

أما الأسباب الذاتية فمن أهمها:

– الرغبة في الاطلاع على هذه الشخصية العظيمة التي لازالت تتمتع بالكثير من الجاذبية رغم عشرات إن لم نقل مئات الدراسات التي أنجزت حولها؛ ولعلّ سبب ذلك يعود إلى أن إقبال كان دائماً يخاطب في الإنسان سّره المكنون.

منهج البحث:

وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي الذي وظفناه في إطار عرض فكر إقبال عموما، والمنهج التحليلي الذي اشتغلنا عليه في شرح نصوص مُحَمَّد إقبال، والمنهج النقدي الذي حاولنا به نقد فلسفة الحداثة الغربية في رؤيتها للإنسان من خلال نقد إقبال لأهم أسسها.

صعوبات البحث:

هذا، وقد واجهتنا صعوبات عديدة من أهمها:

– عدم استطاعتنا السيطرة على المادة العلمية المتعلقة بالموضوع في مختلف جوانبه وتعدد مستوياته لأسباب عدة منها:

– افتقار مكتبة الجامعة لها.

– عدم قدرتنا المادية على اقتناء بعض المراجع الهامة خاصة وأنها معروضة على مواقع الانترنت للبيع. وكمثال على ذلك نجد أحد المراجع المهمة بعنوان: "فلسفة إقبال الشاعر والفيلسوف" لعلي حسون.

خطة البحث:

وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول بعنوان مدخل مفاهيمي، ويندرج تحته ثلاثة مطالب: تناولنا في المطلب الأول تعريف الإنسان لغة واصطلاحا وفي المطلب الثاني تعريف الإنسان في الأديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة، أما المطلب الثالث فعرفنا فيه الإنسان في

الدراسات العقدية المعاصرة. أما المبحث الثاني فقد خصصناه للحديث عن الإنسان عند إقبال وقسمناه إلى أربعة مطالب: المطلب الأول تحدثنا فيه عن شخصية مُحَمَّد إقبال بإيجاز، والثاني مفهوم الإنسان عند إقبال والثالث عن دوافع الاهتمام بالإنسان عند إقبال، والرابع تطرقنا فيه إلى بعض النماذج الإنسانية في فكر إقبال كالمرأة والإنسان الكامل. أما المبحث الثالث والأخير فقد تناولنا فيه الحديث عن نقد إقبال لأسس الحداثة الغربية، وقسمناه إلى ثلاثة مطالب: الأول تحدثنا فيه عن العقلانية والثاني فيه عن الذاتية والثالث عن الحرية.

وأما الخاتمة فقد حملت أهم النتائج المتوصل إليها.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: تعريف الإنسان في الأديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة

المطلب الثالث: تعريف الإنسان في الدراسات العقدية المعاصرة

مدخل مفاهيمي

إن البحث في ماهية الإنسان ومنزلته ومصيره في هذا الكون كان ولا يزال مدار اهتمام المفكرين والعلماء والفلاسفة قديما وحديثا. ولهذا ارتأينا في هذا المبحث أن نبيّن معنى الإنسان لغة واصطلاحا وكذا التعريج على مفهوم الإنسان في كل من الأديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة وصولا إلى مفهومه في أهم الدراسات العقدية المعاصرة، وكمثال لذلك تطرقنا إلى عبد المجيد النجار و علي شريعتي باعتبارهما أحد أهم الدارسين لهذا الموضوع في العصر الحديث في المجال التداولي العقدي الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحا

1-لغة:

تذهب المعاجم اللغوية إلى أن الإنسان:"من الفعل أَنَسَ ويعني بالإنسان آدم عليه السلام والإنسان أصله إِنْسِيَانْ لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره أُنَيْسِيَانْ فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم. و روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "إنما سمي الإنسان إِنْسَاناً لأنه عهد إليه فَنَسِيَ". وقال أبو منصور:"إذا كان الإنسان في الأصل إِنْسِيَانْ فهو إِفْعِلاَنْ من النِسْيَانْ"[1].

- "أَنَسَ: الهمزة والنون والسين أصل واحد وهو ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحُش، قالوا:"الإنسان خلاف الجِنْ وسموا لظهورهم". ويقال آنَسْتُ الشيء إذا رأيته، ويقال آنسْتُ الشيء إذا سمعته. والأُنْسُ "أَنَسَ الإنسان بالشيء إذ لم يستَوحشْ منه"[2].

وبهذا تؤدي كلمة إِنْسَانْ في اللغة معنى النسيان ومعنى الأُنس الذي هو بخلاف التوحش ومعنى الإنس الذي هو الظهور.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط:1، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج6، ص10.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، (د.ط)، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج1،ص145.

2-اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات الإنسان اصطلاحا ومما جاء في تعريفه للجرجاني قوله بأن "الإنسان حيوان ناطق"[1]. وعرفه أبو الهذيل العلاف بقوله: "الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان"[2]. وعند النظّام هو:"الروح وهو الجسم اللطيف المداخل لهذا الجسم الكثيف"[3].

ويرى أبو حامد الغزالي أن الإنسان: "هو على رتبة بين البهائم والملائكة، فالإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته كالصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء"[4].

كما أن الإنسان "هو الحيوان الوحيد الذي يتمتع بنعمة العقل ولكنه أيضا الحيوان الوحيد الذي لا يفتأ يتطلب المحال وينشد اللامعقول إنه مخلوق الهجين الذي يمتزج فيه النور والدم، الشعاع والطين، الطهارة والرجس، الأمل واليأس"[5].

وبذلك فإن الإنسان من الناحية الفسيولوجية يمتاز عن بقية الكائنات الحيوانية بالعقل الذي يخوله أن يدرك ويعقل الأشياء التي من حوله، فخاصية الإنسان التي تميزه عن باقي المخلوقات الأخرى هي خاصية المعرفة ذلك لأنه مخلوق عاقل.

ولكن ما هو المفهوم الذي تعطيه الأديان والفلسفات للإنسان؟

المطلب الثاني: تعريف الإنسان في الأديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة

تناولت الكتب السماوية الإنسان وأفاضت في الحديث عنه على تباين رواياتها وتفاوتها في كثير من المفاهيم المتعلقة بالإنسان.

---

[1] الجرجاني، التعريفات، (د.ط)، بيروت، مكتبة لبنان، 1985م، ص39.

[2] سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ط:1، بيروت، مكتبة لبنان، 1998م، ج:1، ص238.

[3] المرجع نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج3، ص9.

[5] زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، (د.ط)، القاهرة، مكتبة مصر، 1937م، ج2، ص9.

فنجد أن موقف التوراة مثلا من الإنسان ينصب حول آدم وحياته، فآدم في التراث اليهودي قد أخرج من عالم مجال حياته الأولى الجنة إلى الأرض عاصيا مطرودا معاقبا، والدارس للتراث الديني اليهودي، يجد فيه أن حياة الإنسان على الأرض لم تكن خطة إلهية مرسومة بل جاءت عارضة بسبب معصية الإنسان، حتى أن الرب أراد أن يمحو الإنسان من على وجه الأرض.

كما أن للدين المسيحي نصيبا في مسألة الإنسان، ففي الإنجيل حديثا مفاده أن الناس أبناء الله انطلاقا من قول "السيد المسيح: "طوبي لصانع السلام(...)إنهم أبناء الله يدعون". فالإنجيل ينزل الإنسان منزلة كبرى في هذا الوجود، ويجعله في أعلى قمته، خاصة وأن تكرر كلمة أبناء الله والأب السماوي تأكيدا مرة أخرى على دور الإنسان في هذا الوجود"[1].

أما الفلسفات الغربية فقد كان لها نصيب وفير في دراسة الإنسان. ففلاسفة اليونان كان الإنسان مثار اهتمامهم، فسقراط Socrates مثلا تناول الإنسان في محاوراته التي دعا فيها إلى التركيز على حقيقة النفس الإنسانية من خلال مقولته الشهيرة:"أعرف نفسك بنفسك أيها الإنسان"[2].

وتعرض أفلاطون Platonلحقيقة الإنسان ومصيره والعودة إلى عالم الطهر بعدما تدنست وتقيدت النفس البشرية بحياة الحس. أما أرسطو Aristote فقد تناول الإنسان من حيث تركيبته المزدوجة "فرأى فيه الحيوان الناطق"، فيجب عليه أن يستعمل عقله وأن يعتصم بالحكمة ليكون سعيدا في حياته[3].

وامتدادا لهذه الفلسفات وتطور العلوم وازدهارها ظهرت اتجاهات فلسفية جديدة تتخذ من المادة أساسا وتُبعد التصور الإيماني لمختلف القضايا الإنسانية المعاصرة. حيث يذهب أصحاب الاتجاه المادي إلى أن الإنسان ليس إلا ظاهرة مادية شديدة التعقيد، مركبة من المواد الكيمائية المختلفة، وقد نشأت بسبب تطور المواد الأولية. وفي المقابل نجد أصحاب النزعة العقلية يدرسون طبيعة الإنسان

[1] محمد العربي بوعزيزي، محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، ط:1، دمشق، دار الفكر، 1999م، ص264.
[2] المرجع نفسه، ص 263-264.
[3] المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

على أنه ظاهرة عقلية لا جسمية. وبجوار هذين النزعتين المادية والعقلية نجد من يفسر طبيعة الإنسان تفسيرا ثنائيا يضمنه المادة والروح معا.

ومن أبرز من مثلّ الاتجاه المادي كارل ماركس* K.Marx، الذي ركز في عمله على إخراج الإنسان من كل غيب وروح ومعنى ينتفع به، فالمذهب الماركسي ينفي الدين والجوانب الروحية ويعتبر الدين من العوامل المخدرة للشعوب ولذا يجب منعه لكي تنفض هذه الشعوب غبار الاستسلام والخضوع وتنهض للمطالبة بحقوقها وتبني وجودها الحضاري على الظروف المادية والاقتصادية وبهذا تصير المادة هي العامل الموجه والمحرك للطبيعة والمجتمع البشري[1]. إلى جانب ذلك نجد فرويد Freud في مجال النزعة المادية النفسانية الذي تابع تشارلس داروين C.Darwin، في مقولته أن غرائز الإنسان هي الامتداد الطبيعي لغرائز الحيوانات السابقة له في سلم الصعود. فالإنسان عند فرويد وأشياعه كائن أرضي بحت لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن عالم الأرض إلا في حالات الشذوذ[2]. والإنسان كما يتصوره فرويد أيضا هو كائن أو حيوان فسيولوجي ذو مظاهر نفسية متغيرة، كما أن الإنسان أداة وآلة فسيولوجية مغلقة على نفسها تحركها قوتان هما: الحفاظ على الذات والحب. كما سلم فرويد بماهية عدوانية وشريرة الإنسان المسبقة، الذي هو في تصوره كائن عدواني وشرس[3].

وقد كان للفلاسفة الإسلاميين الحظ الوفير في دراسة الإنسان، حيث جعلوه من القضايا الفكرية والفلسفية المطروحة في أعمالهم وكتاباتهم، أمثال المعلم الثاني أبو نصر الفارابي الذي ركز على الإنسان وعلاقته بالله والعالم فحاول أن يبين مفهوم الإنسان في بعده الإلهي والكوني. فالفارابي يرى أن

*كارل ماركس(1818-1883م) مفكر اقتصادي وسياسي ألماني، عرف بالماركسية التي تتعلق بالتطور الاقتصادي في أوربا في مستهل القرن العشرين، له العديد من الكتابات منها: "النزعة الإنسانية" و"تأملات في العقل وحياته الخاصة" و"رأس المال". أنظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفة، ط:1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م، ج2، ص418-423.

[1] دلال تليلاني، "الإنسان عند مُحَمَّد إقبال"، ماستر2، كلية: أصول الدين، قسم: العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2011م-2012م، ص42.

[2] أبو اليزيد أبو زيد العجمي، حقيقة الإنسان بين المسؤولية والتكريم، (د.ط)، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، (د.ت)، ص17-18.

[3] مُحَمَّد سبيلا، مدارات الحداثة، ط.1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009م، ص15-16.

الإنسان مركب من جوهرين: أحدهما جوهر روحي وهو النفس والأخر جوهر مادي مكيف، مشكل، مصور هو الجسم، والنفس مجردة عن الجسم ومفارقة له، ولذلك لا تفنى بفنائه[1].

وقد سلك الإسلام طريقا آخر في مفهومه للإنسان وذلك من خلال تعريف القرآن الكريم له من ناحية دوره ومجال تميزه، وعرّف القرآن الكريم الإنسان على أساس أنه الكائن المكلف كما يفهم ذلك من آياته العديدة التي تخاطب الإنسان بكل ملكة من ملكاته وعلى رأسها العقل وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعقلون. فتعريف الإنسان من وجهة نظر الشريعة بأنه الكائن المكلف لأنه من بين سائر المخلوقات التي تعيش على وجه الأرض له مناط التكليف والمسؤولية كما أشار القرآن إلى ذلك[2]. والإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بملاك ولا هو بالحيوان، هو جسم وعقل وروح وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بأسلوب صريح ومباشر لا مواربة فيه ولا إنكار[3].

فالإنسان في القران كائن مخلوق استحق التكريم والتفضيل ومن أجل ذلك سخرت له نعم عديدة من أجل مساعدته على أنبل مهمة كلف بها دون سائر المخلوقات كما تشير إلى ذلك آيات عديدة منها:

-**ففي شأن الخلق**: ورد في القرآن نشأتان له إحداهما الصلصال والطين ونشأة النطفة، إلا أن الإنسان في كلا الحالتين هو أكمل المخلوقات وأحسنها وأشرفها فقد ذكر الله عنه أنه في كلا الحالتين في أحسن تقويم على الرغم من أنه سيردُ إلى أسفل السافلين[4].قوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾[التين: 4-5].

وقد وردت في القرآن الكريم ثلاث مواضع تتحدث عن المصدر الذي خَلَقَ الله منه الإنسان، فمرة يقول:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[الرحمان: 14]، ومرة أخرى يقول:

---

[1] إبراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية (نموذج الفارابي)، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص106.

[2] أبو اليزيد العجمي: "حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم"، مجلة دعوة الحق، العدد: 22، 1983م، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، ص16.

[3] مُحَمَّد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط:9، القاهرة، دار الشروق، 1988م، ص 69-70.

[4] أحمد خواجة، الله والإنسان في الفكر العربي والإسلامي، ط:1، بيروت، منشورات عويدات، 1983م، ص19.

﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحجر: 26]، أي من طين متعفن كريه الرائحة كالوحل. وفي موضع ثالث يقول:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[المؤمنون: 12]. وبهذا أراد الله ﷻ أن يخلق خليفته وممثله في الأرض، الإنسان المكرم، من طين أو من وحل متصلب (صلصال). ومن ثم نفخ من روحه في هذا الصلصال ووجد الإنسان.

فالإنسان الذي هو خليفة الله قد خُلق من الطين المترسب، يعني من أحط مادة في الأرض، ونفخ الله فيه من روحه، يعني من أشرف شيء. وبهذا يكون الإنسان موجود ذو بعدين، بُعد منه يميل إلى التراب والانحطاط وبعد ثاني أي روح الله ﷻ يميل منه إلى التعالي ويتجه إلى السمو إلى أعلى قمة في الوجود يمكن تصورها أي إلى الله ﷻ[1] .

أما الآيات التي تتحدث عن نشأة الإنسان من نطفة.فهي في قوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾[النحل: 4]، وقال تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان: 1-2].

-وفي شأن الاستخلاف: أعلن الإسلام كرامة الإنسان فاعتبره خليفة الله في الأرض وهي منزلة تتشوق إليها الملائكة فلم يعطوها، ومنحها الله للإنسان[2]. وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

[1] علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة: عباس الترجمان، ط:2، بيروت، دار الأمير، 1428هـ-2007م، ص17-18.

[2] يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط:2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ-1983م، ص74.

﴾ [البقرة: 30-33]، وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[الأنعام: 165]. وبناء عليه فقد كرم الله الإنسان بالخلافة في الأرض وهيأ له بالعقل والعلم الذي تفوق به على الملائكة.

-وفي شأن التسخير: كان من تكريم الله للإنسان أنّ جعل الكون كله في خدمته وسخر لمنفعته العوالم كلها، السماء والأرض، الشمس والقمر والنجوم، الليل والنهار، الماء واليابس، البحار والأنهار، النبات والحيوان والجماد، كلها مسخرة لمصلحة الإنسان وسعادته[1]. قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم: 32-34] وقوله تعالى:﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية: 12-13]. وقوله كذلك:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان: 20].

وفي مقابل تسخير الله عز وجل العالم للإنسان نجد أن الله تعالى وصف الإنسان بجملة من الصفات التي تدل على ضعفه منها. قال تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾[المعراج: 19-21] فهو الكائن الضعيف الهلوع

[1] المرجع السابق، ص76.

الجاهل، وكذلك وصف بالضعيف واليؤوس قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾[النساء28]، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ ﴾[هود:9].

فالإنسان في القرآن مخلوق بإرادة الله وبيدي الله مباشرة وبتفضيله على كافة خلقه إلا أن هذا الإنسان هو المخلوق الواقع تحت رحمة الله وليس له من نجاة إلا برحمة الله وهذا واضح من الصفات التي ذكرها القرآن: هلوعا، جهولا، ضعيفا، يؤوسا، ظلوما، كفورا[1].

-**وفي شأن التكريم:** فالإنسان أكرم الخلائق بهذا الاستعداد المتفرد بين خلائق السماء والأرض[2].

قوله تعالى:﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾[الإسراء: 70].

-و**في شأن الأمانة:** حمل الإنسان للأمانة، من أخص ما يميز دلالة الإنسانية في البيان القرآني، عن الإنسية أو البشرية[3]. لقوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾[الأحزاب: 72].

-**وفي شأن المسؤولية:** قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾[الذاريات: 56]، وقوله تعالى:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: 110]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾[الأنعام: 164].

---

[1] أحمد خواجة، الله والإنسان في الفكر العربي الإسلامي، ص20.

[2] عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، ط:4، القاهرة، نهضة مصر، 2005م، ص12.

[3] عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص63.

وهكذا نصل إلى أن الإنسان في نظر الأديان والفلسفات القديمة والحديثة السابقة على الإسلام هو إنسان الدنس والخطيئة، وكذا هو إنسان المادة دون الروح كما يقدمه التصور الماركسي. أما نظرة الإسلام للإنسان فكانت مختلفة فهو مخلوق متميز مكرّم، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه وهو خليفة الله وكائن عزيز عند الله وحامل لأمانة الله في الأرض.

ولكن ما هي النظرة التي تقدمها الدراسات العقدية المعاصرة للإنسان؟

المطلب الثالث: ماهية الإنسان في الدراسات العقدية المعاصرة

إن دراسة الإنسان من منظور كلي عام من المواضيع المهمة التي يمكن أن تندرج في نطاق الفكر العقدي الحديث وموضوعه يتناول بالبحث: مبدأ الإنسان وقيمته الذاتية، ومنزلته في الكون وغاية وجوده ومصيره، هذه القضية تشكل اليوم مطلبا عقديا ملحا وهي من المسائل التي لم تنل الاهتمام الكبير في الكلام التقليدي إلا أن تكون جزئيات متفرقة في أثناء موضوعات أخرى وذلك بالنظر إلى ما يشكوه العالم الإسلامي اليوم من مظاهر عديدة لامتهان الإنسان وإهانة كرامته وإهدار قيمته وبالنظر إلى ما تتقلب فيه حياة المسلمين على غير وعي بالمهمة التي من أجلها خلق الإنسان[1].

وقد بين عبد المجيد النجار أنه من الضروري أن يتجه الفكر الإسلامي اليوم إلى إفراد قضية الإنسان كقضية عقدية أصلية تتجلى أبعادها في أصول القرآن والحديث ويثريها بما كتب السابقون فيها بصفة مباشرة أو غير مباشرة ويستفيد مما توصل إليه الكسب الإنساني العام في العلوم على سبيل الاستدلال والبيان. ومن مظاهر تطبيق النجار لهذه الدعوة التي يدعو إليها على المستوى الواقعي ما نجد في المحاولة التي قدمها ووضعها في استجلاء صورة لحقيقة الإنسان مؤصلة في العقيدة الإسلامية كصورة مستقلة وشاملة، وذلك في وضعه لمحاور أساسية يمثل كل محور منها حلقة في سلسلة تشرح هذه الحقيقة من جوانبها المختلفة[2].

ففي المحور الأول تحدث عن مبدأ الإنسان في ماهيته ووجوده والعلاقة بينهما ومبدأه في الزمان ككائن متميز عن سائر الكائنات، وتناول في المحور الثاني قيمة الإنسان من حيث ذاته ومن حيث

[1] حسن حما، منهجية القرآن المعرفية مدخلا في تجديد علم الكلام، مؤمنون بلا حدود، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص9-10.

منزلته في القرآن الكريم، أما المحور الثالث فقد أفرده للحديث عن القوام الإنساني في تركيبه الطبيعي الروحي والمادي، متبوعا بمحور رابع تحدث فيه عن الغاية التي من أجلها وجد الإنسان والوظيفة التي عليه أن يقوم بها في الحياة، والمحور الخامس تحدث فيه عن المصير الذي يؤول إليه الإنسان بعد غيابه عن مزيج الحياة الدنيا. وفي كل محور من هذه المحاور حاول عبد المجيد النجار أن يبين فيه حقيقة الإنسان انطلاقا من نصوص الوحي واستعانة بآراء وبيانات المفكرين المسلمين ومقارنة نقدية ما أمكن بالآراء والمذاهب الفلسفية، إبرازا لما تتميز به العقيدة الإسلامية في تقديرها للإنسان من أثر نفسي تربوي يعود على المؤمن بها بالنفع الدنيوي العاجل قبل السرمدي الآجل. كما كان لعبد المجيد النجار كتب أخرى في هذا الصدد نذكر منها:

-خلافة الإنسان بين الوحي والعقل الذي حدد فيه "أن خلافة الإنسان في هذه الأرض لا تتمثل بقدرته على استثمارها والانتفاع بما فيها فحسب بل بقدرته على التأمل والنظر والتفكر في حوادثها وآياتها وسننها وأسرارها، وكل ذلك تكميلا وترقية للنفس في وجهتها إلى الله عبر منهاج العبادة"[1].

-كتاب تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين للراغب الأصفهاني الذي عمل على تحقيقه ودراسته.

-فقه التدين فهما وتنزيلا (جزأين).

-المقتضيات المنهجية لتطبيق الشريعة الإسلامية.

-الإنسان في العقيدة الإسلامية، قيمة الإنسان-مبدأ الإنسان.

-الإيمان بالله وأثره في الحياة.

أما عن علي شريعتي، فقد رأى هو الآخر أن يتجه الفكر الإسلامي اليوم إلى قضية الإنسان كقضية أساسية يجب أن نهتم بدراستها لما لقيه هذا الإنسان في السنوات الأخيرة من امتهان لكرامته وسلب لقيمته وبعده كل البعد عن المهمة الحقيقية التي وجد من أجلها. فقد كتب كتابه "الإنسان والإسلام" وهو عبارة عن ست محاضرات ألقاها في كلية النفط بمدينة آبادان الإيرانية. و كانت أول محاضرة ألقاها تحت عنوان: "الإنسان والإسلام" يقول فيها أن موضوع الإنسان قضية مهمة جداً وقد

[1] عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط:3، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2000م، ص63.

بين نظرة الدين الإسلامي للإنسان على أنه إنسان الخلافة بخلاف ما جاءت به الديانات السابقة عن الإسلام أو حتى الفلسفات القديمة والحديثة التي جعلت منه إنسان الخطيئة والدنس وكذا وجهته نحو المادة والتحرر من كل القيود[1]. وله كتابات أخرى في الاتجاه نفسه ولكن بمنظور آخر مختلف نذكر منها: "العودة إلى الذات"، الذي يطرح فيما يطرح فيه هوية إنسانية الإنسان لا كإنسان فقط بل الإنسان كخليفة للرحمن.

و إذا كان هذا عن عبد المجيد النجار وعلي شريعتي أحد أهم المفكرين الذين دعوا إلى جعل الإنسان موضوعا أساسيا في الفكر العقدي الإسلامي المعاصر، فماذا عن مُحَمَّد إقبال أنموذج بحثنا؟

[1] علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ص10-16.

المبحث الثاني: الإنسان عند إقبال

المطلب الأول: محمد إقبال ترجمة موجزة

المطلب الثاني: مفهوم الإنسان عند إقبال

المطلب الثالث: دوافع الاهتمام بالإنسان عند إقبال

المطلب الرابع: نماذج إنسانية في فكر إقبال

الإنسان عند إقبال

عاشت الأمة الإسلامية عامة والقارة الهندية خاصة في القرون الأخيرة أوضاعاً مزرية من التخلف والضعف ووهن في الأوضاع الاجتماعية والسياسية والابتعاد عن الجانب الروحي الديني والوقوع في التقليد الأعمى وطمس للهوية الإسلامية. لهذا تطلب الوضع إعادة بعث روح الوعي من جديد الذي حملها العديد من المصلحين أمثال الشاعر والمفكر مُحَمَّد إقبال الذي عمل على صَدّ الحضارة الغربية وماديتها الجارفة التي أهملت الجانب الروحي للإنسان وحطت من قيمته، وما آلت إليه ظروف المجتمع الإسلامي من وهن وتواكل وابتعاده عن تراثه.

المطلب الأول: مُحَمَّد إقبال ترجمة موجزة

مُحَمَّد إقبال المفكر والأديب يمثل علما مهما من أعلام الهند الذين نادوا بالتجديد والإصلاح الفكري والإسلامي الحديث. عمل على صياغة مشروعه التجديدي الإصلاحي في إعادة بناء "الذات" المسلمة وكذا بلورة هوية إسلامية متسمة بالوحدة والتنوع. فمن هو مُحَمَّد إقبال؟

هو إقبال بن نور بن مُحَمَّد، ولد في مدينة "سيالكوت" في مقاطعة البنجاب في الثالث من ذي القعدة الموافق ل9 تشرين الثاني نوفمبر 1877م. يرجع نسب أسرته إلى براهمة كشمير حيث أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدولة المغولية كبرى الدول الإسلامية التي قامت في الهند[1].

كان والداهُ صالحين تقيين، فأبوه مُحَمَّد نور كان متصوفا عاملا كادحا في كسب رزقه يعمل لدينه ودنياه. ويؤثر عنه أنه قال لإقبال حين رآه يكثر قراءة القرآن: إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك. وأم إقبال كانت تقية ورعة حتى كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها، إذ كان يعمل مع رئيس عرف مأكله من الرشوة، ولم تكن وظيفة زوجها من مال هذا الرئيس، ولكن كذلك كان ورعها[2].

[1] أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند مُحَمَّد إقبال"، ص548.

[2] عبد الوهاب عزام، مُحَمَّد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص24-25.

بدأ مُحَمَّد إقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرغ للعلم الديني، ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ مير حسن لم يوافق، وقال لنور مُحَمَّد لا يكتفي بالتعليم الديني لابنه بل يجب أن يرسله للتعليم لمعاصر أيضا وأقترح عليه أن يسحب أبنه من الكتاب ويسلمه إليه، ومن ثم التحق إقبال بالمدرسة الدينية إلى الشيخ سيد مير حسن في جارة مير حسام الدين على مقربة من منزله وأخذ يدرس اللغة الأردية والفارسية والعربية[1].

أتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بدأ دراساته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية 1891م، التي تخرج فيها وحصل منها على إجازة الآداب 1897م، ثم حصل على درجة الماجستير 1899م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية، وتلقى وهو أستاذ في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية وكلية الحكومية في مادتي الفلسفة واللغة الإنجليزية. وفي عام 1905م، التحق إقبال بجامعة كامبردج وأخذ شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد[2].كان مشوار إقبال حافلا بالإنجازات حيث درس في العديد من الجامعات الأوروبية.

وفي الحادي والعشرون من أفريل سنة 1938م، رحل إقبال الفيلسوف الشاعر بعد أن اشتدت عليه العلل[3]، وترك هذا الرجل وراءه العديد من المؤلفات، وكان له نظر ثاقب في كثير من القضايا والمسائل المرتبطة بالأدب والفلسفة والاقتصاد والسياسة والتربية والتاريخ والدين، وقد صب جميع ذلك في قالب كتاباته النثرية ودواوينه الشعرية ورسائله، وكانت أغلب أثاره باللغة الفارسية والأردية ترجمت أكثرها إلى لغات حية، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

-تجديد التفكير الديني في الإسلام: وهو مجموعة من المحاضرات ألقاها في العديد من الجامعات سنة 1929م.

[1] جاويد إقبال، النهر الخالد، تعريب: ظهور أحمد أظهر، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص87.

[2] زكي الميلاد، مُحَمَّد إقبال والتجديد الديني والفلسفي، ط:1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008م، ص14-15.

[3].أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند إقبال"، ص550.

-تطور الفكرة العقلية في إيران "كازدهار الميتافيزيقا في فارس" نشر سنة 1908م.

-الإيمان والاستغناء عن المادة.

-أغاني فارسية، صدر عام 1917م[1].

أما عن دواوينه نذكر منها:

-الأسرار والرموز "أسرار خودي ورموز بي خودي"، وهي من بواكير أعماله الشعرية حيث ركز فيها على فكرة الذات.

-رسالة المشرق "بيام مشرق"، طبع أول مرة سنة 1923م.

-زبور العجم "زبور عجم".

- هدية حجاز "أرمغان حجاز".

-رسالة الخلود "جاويدنامة".

-صلصله الجرس "بانك درا".

-جناح جبريل "بال جبريل".

-ضرب الكليم "ضرب كليم"[2].

المطلب الثاني: مفهوم الإنسان عند إقبال

يرى إقبال أن الإنسان هو محور الحياة وهدفها المطلق، وهو صانع ذاته ومجتمعه بالعمل الدؤوب، وهو السبب في تدمير ذاته ومجتمعه إذا تقاعس وتهاون. ولكنه إذا كافح قوي من ذاته وجوهره وتمكن من السمو فوق كل من العالم الذي صنعه الإنسان والعالم الذي خلقه الله فهو إذن صاحب المسؤولية

[1] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ط:1، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، 2014م، ص79.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ط:3، بيروت، دار ابن كثير، 2007م، ج1، ص6-8.

في الحياة. وعليه تقع كل من المسؤولية الفردية والاجتماعية في تنظيم العالم والسمو فوقه. وحتى يصل الإنسان إلى تلك الدرجة الرفيعة من السمو والإبداع والقيام بأعباء المسؤولية في الكون فإنه لامناص له من أن يحكم ذاته فيدعمها، وينميها حتى يحقق وظيفة الاستخلاف التي أنيطت بعهدته، ذلك ما أقره إقبال في ديوانيه الشهيرين "الأسرار" و "الرموز"، اللذين تضمنا فلسفته التي اشتهرت بـ"فلسفة الذات" أو بـ"نظرية الذاتية" التي ركز فيها على بيان مفهوم الإنسان في بعده الوجودي والمعرفي وما أوكله إليه المولى عزّ وجلّ الذي جعله خليفة له في الكون[1].

يرى إقبال أن هناك ثلاثة أمور واضحة كل الوضوح في القرآن الكريم حول حقيقة الإنسان وهي:

1-في شأن التكريم:

-أن الإنسان قد اصطفاه الله تعالى. في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه: 122].

2-في شأن الخلافة:

-أن الإنسان بالرغم من أخطائه جميعا، أريد به أن يكون خليفة الله في الأرض، لقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة: 30]. وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: 165].

3-في شأن المسؤولية:

[1] محمد العربي بوعزيزي، محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، ص371.

-أن الإنسان أمين على شخصية حرة تبيعتها على عاتقه[1]، لقوله تعالى﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب: 72].

«وفي وصف الإنسان يؤكد إقبال أن: الإنسان بما وهب الله تعالى له من قوة متوازنة على أحسن ما يكون قد ألقى نفسه في أسفل ميزان الوجود. وقد أحاط به من كل جانب قوى تقيم في وجهه العقبات»[2]، قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾[التين 4-5].

«والإنسان إذا استهوته القوى التي تحيط به فإنه يقدر على تكييفها وتوجيهها حيث شاء إما إذا غلبته على أمره فإنه قادر أن ينشئ في أعماق نفسه عالما أكبر يجد فيه منابع السعادة والإلهام لا حد لهما ولا نهاية. ومع أن نصيب الإنسان في الوجود شاق، وحياته وهن كورقة الورد، فليس للروح الإنسانية نظير بين جميع الحقائق في قوتها، وفي إلهامها، وفي جمالها، ولهذا فإن الإنسان في صميم كيانه هو كما صوره القرآن قوة مبدعة وروح متصاعدة تسمو في سيرها قُدُماً من حالة وجودية إلى حالة أخرى»[3]، قال تعالى:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾[الانشقاق: 16-19]. لقد قدر على الإنسان أن يشارك في أعمق رغبات العالم الذي يحيط به وأن يكيف مصير نفسه ومصير العالم كذلك تارة بتهيئة نفسه لقوى الكون، وتارة أخرى ببذل ما في وسعه لتسخير هذه القوى لأغراضه ومراميه، وفي هذا المنهج من التغير التقدمي لا يكون الله في عون المرء على شريطة أن يبدأ هو بتغير ما في نفسه[4]، قال تعالى:﴿

[1] مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م، ص197.

[2] أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان"، ص556-557.

[3] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط: 2، دار الهداية، 2000م، ص20-21.

[4] مُحَمَّد العربي بوعزيزي، مُحَمَّد إقبال فكره الديني والفلسفي، ص387.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد: 11].

فإذا لم ينهض إلى العمل ولم يبعث ما في أعماق كيانه من عنى أو كفّ الشّعور بباعث من نفسه إلى حياة أرقى أصبحت روحه جامدة جمود الحجر، وهوى إلى حضيض المادة الميتة، على أن وجود الإنسان وتقدمه الروحي يتوقفان على أحكام العلاقات بينه وبين الحقيقة التي يواجهها، وهذه العلاقات تنشئها المعرفة وهي الإدراك الحسي الذي يكمله الإدراك العقلي[1]، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[البقرة: 30-33]. وهذه الآيات تشير إلى أن الإنسان موهوب بالملكة التي تجعل له القدرة على وضع أسماء للأشياء، أي أنه يُكون التصورات، فالمعرفة الإنسانية إذن معرفة قائمة على الإدراك.

وبفضل هذه المعرفة الإدراكية يدرك الإنسان ما هو قابل للملاحظة من الحقيقة والأمر الجدير بالتنويه في القرآن هو توكيده لجانب الملاحظة وجعل هذا من جوانب الحقيقة[2]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة: 164].

[1] المرجع نفسه، ص388.

[2] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص22.

«كما يرى إقبال أن الإنسان هو أفضل المخلوقات التي خلقها الله وأمرها بقوة على مواجهة الطبيعة وتقلباتها في سبيل السيطرة عليه وتسخيرها لخدمة مصالحه وحياته وإذا عجز الإنسان أمام الطبيعة فإنه لا يستسلم لها ولا يخضع لسيطرتها بل يقوده هذا الإحباط للارتداد إلى عالمه الداخلي ليستمد منه القوة على مجابهة التحدي الذي طرحته عليه الطبيعة في صراعها معه»[1]. والإنسان هو هدف الحضارة ووسيلتها، لذلك لا يتخيل وجود حضارة لا تركز على الإنسان اهتماما بواقعه ولذلك رفع إقبال مكانة الإنسان في أدبه[2] يقول في ديوانه "جناح جبريل" في المقطع الذي تحت عنوان: "روح الأرض تستقبل آدم":

«فأتى الأرض فقالت إنه آدم جاء

أنت يا آدم فأعلم كنت من طين وماء

حولك العالم فأنظر وتمعن في السماء

ووراء الحجب حسن فتأمل ما وراء

لا تكن نافذ صبر واحتمل وهم الشقاء

ضجة العالم هذا حرب خوف ورجاء

لك ما في الكون ملك من بحار وفضاء

هذه السحب جميعا هذه البيد العراء»[3]

وهذه بعض المواطن التي وردت فيها إشارات إقبال إلى الإنسان في بعض دواوينه.

ففي ديوان "رسالة المشرق" في المقطع الذي تحت عنوان: "بين الله والإنسان":

---

[1] مصطفى فاضل كريم خفاجي: "الخطاب التجديدي عند مُحَمَّد إقبال الوجود أنموذجا"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد: 4، 2016م، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب، ص256.

[2] مُحَمَّد أعظم الندوي: "الذات في أدب إقبال مفهومها ومعالم بنائها ودورها في النهوض الحضاري للأمة"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد: 84، 1437هـ-2016م، ص187.

[3] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص521-522.

الله: «خلقت الأنام لطين وماء خلقت تتارا وزنجا وفرسا

خلقت من الترب هذا الحديد وسهما خلقت وسيفا وترسا

وفأسا خلقت لجذع وغصن

وسجنا صنعت لطير مغني

الإنسان: خلقت الظلام فصغت السراج وطينا خلقت فصغت الكؤوس

خلقت جبالا وبيدا ومرجا خلقت حدائقها والغروس

أنا من حجار صنعت مرايا

أنا من سموم صنعت دوايا»[1]

والإنسان هو سرّ الله في الوجود كما يثبت ذلك إقبال في ديوان "ضرب الكليم" فيقول[2]:

«ذا طلسم الكون والعدم سمي الإنسان من قدم

هو سر الله جل فلا يحتويه الوصف في كلم

إن هذا الدهر من أزل من سفار باء بالسقم

ومضى الإنسان سيرته لم يصب بالضعف والهرم

وإليك السر أعلنه إن تسعة غير متهم

ما بدا روحا ولا بدنا ذلك الإنسان للفهم»[3]

كما يعكس ديوان "جناح جبريل" إيمان إقبال بقيمة الإنسان وبقدرته على تحقيق المعجزات، فهو على الرغم من أنه على دراية بحقيقة هذا الكائن الأمي والمركب من مادة وروح، فإنه يشير إلى أن

[1] مُحَمَّد إقبال، بيام مشرق، ترجمة: عبد الوهاب عزام، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص62.

[2] مُحَمَّد العربي بوعزيزي، مُحَمَّد إقبال فكره الديني والفلسفي،ص 373.

[3] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 51.

جانب الطين في الإنسان لا يمنعه من السمو والوصول إلى النجوم، بل يراه قادرا على تصعيد ذاته حتى يكون الكون كله مسخرا له وطوع أمره[1].

وفي هذا يقول:

«ما وراء النجوم عوالم أخرى

وللحب معاناة غائبة عن هذا الفضاء

هناك قوافل أخرى تعبرها بالمئات

لا تقنع بهذا العلم هناك بساتين أخرى وأعشاش أخرى

إذا ضاع منك عش، ولماذا تحزن

لن تفوتك مناسبات أخرى للبكاء

أنت شاهين قصاراك أن تطير

ما تزال أمامك سماوات أخرى

فلا تكبلك أغلال الأيام والليالي

ما تزال تحت تصرفك آفاق أخرى وأزمان أخرى»[2]

فقد اعتبر إقبال الإنسان سيد الكائنات وخليفة الله على الأرض، هذا الكائن الذي تحمل الأمانة بكل جسارة والذي بحث الحكماء في ماهيته وحقيقته. وما استطاعوا أن يقفوا على ذلك، لكن إقبال جعله عنصرا مركزيا في فكره ورؤيته، فكان عنده الإنسان الكامل الذي سما على كل الموجودات[3].

[1] اللاّن نجاج وسعد الله وداد، "نظرية الإنسان عند مُحَمَّد إقبال"، ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم اجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2015م-2016م، ص36.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان جناح جبريل، ترجمة: عبد المعين الملوحي، نقلا عن مُحَمَّد العربي بوعزيزي في كتابه: مُحَمَّد إقبال فكره الديني والفلسفي، ص374.

[3] مُحَمَّد العربي بوعزيزي، مُحَمَّد إقبال فكره الديني والفلسفي، ص390-391.

المطلب الثالث: دوافع الاهتمام بالإنسان عند إقبال

إن مُحَمَّد إقبال المفكر الإسلامي الكبير كرس حياته للإصلاح والتجديد نتيجة إلى ما آل إليه العالم الإسلامي من تدهور وانحطاط في جميع مجالات الحياة في ظل وجود حضارة غربية طغى عليها الجانب المادي وأهملت الجانب الروحي للإنسان. لهذا حمل إقبال على عاتقه الإصلاح والتجديد في شتى المجالات متخذا من قضية الإنسان أساسا لفكره ورؤيته الكونية والإنسانية، والتي تُعد موقفا متفردا في الفكر العقدي المعاصر من حيث دعوته إلى قوة الذات الإنسانية وحريتها ومكانتها في هذا الكون.

إن الدارس لفكر مُحَمَّد إقبال كما يذهب إلى ذلك كثير من الباحثين، من خلال ما كتبه في أشعاره ودواوينه ليجد أن ما يميز صفة الإبداع والتميز في فكر إقبال هو اهتمامه بالإنسان، لما لقيه من نظرة مختلفة من طرف الأديان والفلسفات القديمة والحديثة المخالفة للدين الإسلامي والتي جعلت من الإنسان مادة دون روح وكذلك إنسان الخطيئة والدنس، بل وعملت بمنظور مخالف على تأليهه وإحلاله محل الله تعالى خاصة كما هو في الحداثة الغربية المعاصرة.

يذكر إقبال في كتابه تجديد الفكر الديني في الإسلام وفي سياق نقده للفكر اليوناني وما تركه من آثار سلبية على الفكر الإسلامي فيقول:« إن الفلسفة اليونانية–على ما نعرف جميعا– كانت قوة ثقافية عظيمة في تاريخ الإسلام، ولكن التدقيق في درس القرآن الكريم وفي تمحيص مقالات المتكلمين على اختلاف مدارسهم التي نشأت ملهمة بالفكر اليوناني يكشفان عن حقيقة بارزة هي: أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام غشت على أبصارهم في فهم القرآن. وأعطى مثالا على ذلك: كان سقراط يقصر همه عالم الإنسان وحده. وكان يرى أن معرفة الإنسان معرفة حقة إنما تكون بالنظر في الإنسان نفسه، لا بالتأمل في عالم النبات والهوام والنجوم، وما أشد هذا مخالفة لروح القرآن الذي يرى في النحل على ضآلة شأنه محلا للوحي الإلهي، والذي يدعو القارئ دائما إلى النظر في تصريف الرياح المتعاقب، وفي تعاقب الليل والنهار والسحب، والسماء ذات النجوم، والكواكب السابحة في فضاء لا يتناهى»[1].

[1] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص10.

كما استعرض إقبال أيضا في كتابه تجديد الفكر الديني في الإسلام آراء الغزالي في مراحل التفكير الأولى، وقد اتفق مُحَمَّد إقبال مع الغزالي في اعتبار الرياضة الروحية معرفة مباشرة لا يمكن أن يطلع عليها إلا من عايشها. وقد قال الغزالي في شأن الرياضة الروحية:"إن التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته"[1]. كما أن إقبال أعجب بموقف الغزالي من التصوف، إذ قال فيه ما نصه في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام: "أما الغزالي فعندما خاب رجاؤه في الفكر التحليلي ولىّ وجههُ شطر الرياضة الصوفية وألقى بها مكانا قائما بنفسه وبهذه الطريقة وفق في أن جعل للدين حق الوجود مستقلا عن العلم وعن الفلسفة الميتافيزيقية"[2]. كما أنه قارن بينه وبين كانط*I.Kant الفيلسوف الألماني، وكذلك عرض أراء ابن رشد الأندلسي وتأثره بأرسطو الفيلسوف اليوناني، كما درس الأشاعرة والمعتزلة وانتقد افتقار إدراكهم للدين على أنه مجموعة من عقائد المجردة، متجاهلين أنه حقيقة حيوية، حيث أرجعوا الدين إلى نسق من المعاني المنطقية. وبهذه المقدمات التي وضعها إقبال يكشف عن نيته وهدفه فيقول: "لقد آن الأوان للنظر في مبادئ الإسلام وأصوله"[3].

يرى إقبال بأن العالم قائم بهذه الذاتية الإنسانية، وأن الإنسان بهذه الذاتية يقوم على قدر قوتها وضعفها، بل يخلد أو يفنى باستحكامها أو اضمحلالها، لهذا فإن واجب الإنسان في هذه الحياة ينبغي عليه أن يتوجه لمعرفة ذاته وتقويتها وتنمية مواهبها واستنباط ما في فطرتها[4]. وفي هذا الإطار يشير الشاعر الألماني هرمان هيسة H.Hesse، في مقال له نشرته مجلة فكر وفن الألمانية بعد صدور أول ترجمة أنجزتها المستشرقة الألمانية آن ماري شميل لديوان مُحَمَّد إقبال، إلى طبيعة المنابع التي استقى منها مُحَمَّد إقبال رؤيته للذاتية الإنسانية، حيث أشار الشاعر الألماني إلى أن مُحَمَّد إقبال ينتمي إلى ثلاثة أحياز روحية، وهذه الأحياز الروحية الثلاثة هي منابع آثاره العظيمة على تفاوت في تأثيرها فيه وهي: حيز القارة الهندية وحيز العالم الإسلامي وحيز الفكر الغربي»[5].

---

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص153.

[2] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص13.

*إيمانويل كانط(1724-1804م)، فيلسوف ألماني، اهتم بنظرية المعرفة، وكان شديد الإيمان بقدرة العقل لمعرفة كل شيء. له العديد من المؤلفات منها: "إيضاح جديد للمبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية" و"نقد العقل المحض". أنظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج2، ص269-272.

[3] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص10-11.

[4] مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، ص195.

[5] رائد جبار عكاشة وآخرون، الفلسفة في الفكر الإسلامي قراءة منهجية ومعرفية، ط: 1، بيروت،1433هـ- 2012م، ص373.

عاش إقبال وسط أسرة كشميرية من سلالة برهمية وقد كانت نزعة التصوف هي ما يميز بشكل واضح أسرة إقبال. يقول إقبال في شأن ذلك:« كان آبائي براهمة في الكفر، وزهاد في الإسلام، وعاشوا يفكرون في ذات الله»[1]. كما ذكر أيضا في "ديوان جبريل" في قصيدة مسجد قرطبة، حيث قال:« أنا كافر هندي، فانظر إلى خشوعي، قلبي مفعم بالصلاة والسلام، وشفتايا تنطقان بالصلاة والسلام»[2]. إضافة إلى ذلك يؤكد إقبال أن القرآن الكريم هو الأصل والأساس في استلهام فكره، وهو المنبع الذي صحح له فكره ومسلكه الصوفي. ويذهب إقبال، وقد سئل عن سرّ بلاغته وفصاحته في شعره ونثره، إلى أن الأمر يعود إلى توجيهات أبي رحمه الله، فقد عودني على تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان كلما رآني سألني هذا السؤال في صبيحة كل يوم: هل تتلو القرآن الكريم يا ولدي؟ فأجيبه الجواب نفسه، وقد دفعني الفضول والضجر من سؤاله المتكرر إلى أن أقول لوالدي يوما: والدي إنك تراني أتلو كتاب الله، فلم تسألني هذا السؤال وأنت تعلم جوابي؟ فقال رحمه الله بل أردت أن أقول لك: "اقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك". ومنذ ذلك الوقت بدأت أفهم القرآن ، وأُقبل على دواخل كلماته ومعانيه فكان من أنواره ما انتسبت، ومن بحره ما نظمت[3]. فأين هي الأحياز الثلاثة التي تحدث عنها الشاعر الألماني؟ !

إضافة إلى القرآن الكريم استفاد مُحَمَّد إقبال في تبني فكرة الإنسان من التصوف الإسلامي، ونهل خاصة من منهل عذب مورود سائغ شرابه هو شعر مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى. فالمتصفح لأسرار خودي يرى أثر مثنوي الرومي واضحا فيه[4]. ويذكر إقبال في مقدمة هذا الكتاب "أن الرومي هو الذي أيقظه ونبهه ودعاه أن يسلك هذا السبيل وهو يقول:

«صير الرومي طيني جوهرا من غباري شاد كونا آخرا»[5]

كما يظهر تأثير جلال الدين الرومي على فكر إقبال في استخدام هذا الأخير لبعض المفاهيم الصوفية الموجودة في قاموس جلال الدين الرومي كفكرة الذات الإنسانية وقوتها ومصطلح الفقر الذي

[1] نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ط:1، القاهرة، دار الصحوة، 1437هـ-2015م، ص12.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص472.

[3] زكي الميلاد، الفلسفة الذاتية في الفكر الإسلامي المعاصر عند مُحَمَّد إقبال، ص380.

[4] مُحَمَّد أعظم الندوي:"الذات في أدب إقبال مفهومها ومعالم بنائها ودورها في النهوض الحضاري للأمة"، ص173.

[5] مُحَمَّد إقبال:، ديوان "الأسرار والرموز"، ص115.

يعد مقاما من مقامات الصوفية، يتردد في مواقف كثيرة في أعمال مُحَمَّد إقبال الشعرية، وقد جاء ذلك واضحا في قوله:

«عن الرومي خذ سر الفقير يثير بفقره حسد الأمير»

ويؤسس جلال الدين الرومي تصوره للذات الإنسانية على مبدأ العشق الذي اعتبره قوة كونية مودعة في الكائنات، وهذا التصور الخلاق لقوة الذات هو ذات التصور الذي دافع عليه مُحَمَّد إقبال وبنى عليه، إن صح التعبير "مذهب الذاتية"[1].

وفي السؤال الثامن من أسئلة إقبال التي صاغها في (كلشن راز جديد) الذي ترجمه حسين مجيب المصري، تحت عنوان: (روضة الأسرار)، يعيد إقبال قراءة الحلاج ويكتشفه من جديد بوصفه داعية إلى عقد علاقة ذاتية "دينامية" بين الإنسان والله تعالى، ويعتبره صوفيا أراد إيقاظ المسلمين من سباتهم الروحي بقيادتهم إلى المعنى الداخلي للوحي الإلهي[2]. وفي هذا يذكر مُحَمَّد إقبال في ديوانه "زبور العجم":

«أتعرف ما تضمنه "أنا الحق" أتحسبه هراء حين ينطق؟»[3]

يذكر إقبال أن الفناء للدنيا، والبقاء للذات، ويذكر أن الحلاج طلب الله بذاته فعلى الإنسان أن يهتم بذاته ويترك الجدال في شأن الدنيا. كما يعزو أحد الباحثين هذا التغير الذي حبذه عند إقبال، إلى اطلاعه على كتاب المستشرق الفرنسي ماسينيون "آلام الحلاج" الصادر سنة 1922م، إذ تضمن تأويلا مغايرا لمقولة الحلاج "أنا الحق"، وهو التأويل الذي غير رأي إقبال في الحلاج وقربه منه، وجعله يرى أن الحلاج قال ما قال متحديا العالم الإسلامي في عصر تميز بالاتجاه إلى طمس الحقيقة وإغفال الذات الإنسانية، وبات إقبال في يقين أن مقولة الحلاج جاءت تعبيرا عن تجربة خاصة تمرس بها وبلغ أعلى الذروة، ومكنته من الكشف عن ذاته وصلتها بالذات الإلهية.ثم أخذ إقبال بمذهب الحلاج في التمييز بين الذات الإلهية والذات الإنسانية، ومقولة الحلاج هي رمز للذاتية [4]. وما كتبه مُحَمَّد إقبال في

[1] بلحمام نجاة، ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر مُحَمَّد إقبال، دكتوراه، كلية: العلوم الاجتماعية، قسم: الفلسفة، جامعة وهران-الجزائر، 2011م-2012م، ص114-115.

[2] خالد مُحَمَّد عبده، معنى أن تكون صوفيا، ط:2، القاهرة ، مكتبة المحروسة، 2018م، ص231.

[3] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص395.

[4] زكي الميلاد، الفلسفة الذاتية في الفكر الإسلامي المعاصر عند مُحَمَّد إقبال، ص374-375.

آخر حياته في ديوانه"هدية حجاز" نجده يمثل الحياة بالحبل في الرقبة، حتى تظن أنهم علقوني على أعلى الصليب، مستدعيا صورة الحلاج الذي رضي أن تنتهي حياته على هذا النحو ليبدأ حياة جديدة. وفي نفس الديوان نتذكر الحلاج بكلمات إقبال: الإسلام هو شراء غم القلب، والارتعاش لحمى الأصدقاء، وجود الأمة يكمن في إخلاء الذات، ثم الهتاف بعد ذلك "أنا الأمة" وفي ديوان "صلصله الجرس" يقول إقبال:

«إن لسان منصور الحلاج أصبح رسالة موت

فالآن من يدعي عشق أحد»

من خلال هذه الفقرة نفهم أن من يريد رؤية الله كما أراد الكليم رؤيته على جبل الطور، فعليه أن يفتح عين قلبه ويغلق عينيه، إذ بعدما صرح الحلاج بعشقه، أعلن موته مما جعل باب الطلب والإعلان يغلق، إذ مَنْ من الناس يسعى بقدمه إلى حتفه مثلما الحلاج»[1].

«كما ينقل عبد الوهاب عزام في كتابه "مُحَمَّد إقبال سيرته وفلسفته وشعره "نصا يذكر فيه أن مُحَمَّد إقبال قد أعجب بشخصية ابن عربي قائلا: كما أعجب مُحَمَّد إقبال بابن عربي ولم يفارقه، إلا أنه وفي مرحلة النضج والاستقلالية في الفكر يضعه في إطار ناقد، إذ يذكره في رسالة إلى صديق 1915م بقوله" لا أنكر عظمة الشيخ ابن عربي وفضله بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين. ولا أرتاب في إسلامه فإن يحتج على عقائده، كقدم الأرواح ووحدة الوجود، بالقرآن على حسن نية. فآراءه على صوابها أو غلطها قائمة على التأويل القرآن. وأما أن تأويله غلط أو صواب عقلا ونقلا فمسألة أخرى. وعندي أن تأويله غير صحيح، فأنا أعده مسلما مخلصا ولا أتبعه في مذهبه»[2].

أمّا المنبع الغربي لتجربة إقبال فقد أشار إليه الدكتور مُحَمَّد البهي في قسم من كتابه "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" الذي خصصه عن إقبال في كتابه دون الإشارة إلى صاحب القول، ومتجنباً قد يقال متحدثاً عنه بصيغة الغربي إن إقبال قرأ لهيجل*F.Hegel وتأثر

[1] خالد مُحَمَّد عبده، معنى أن تكون صوفيا، ص240-241.

[2] عبد الوهاب عزام، مُحَمَّد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص71.

برأيه في الكشف عن طبيعة رأيه في ذلك، فقد يقال وقرأ لنيتشه* F.Nietzsce ومال إلى مذهبه في"السوبرمان"رمز القوة والاعتداد بها فنادى "أنا" بالفردية، وقوَّم الإنسان كفرد، وجعله وحدة الحياة الإنسانية، وأصل الجماعة وخالقه. ثم قرأ لنيتشه ما يراه في التاريخ البشري من أن عظماء الأفراد هم الذين يكوّنون التاريخ وليست أحداث الحياة، فقال بما يقول نيتشه في تاريخ الجماعة ودور الفرد في تكوين هذا التاريخ»[1]. و يبدو أن هذا الأمر مستبعد تماماً من خلال الرؤية الكلية التي يطرحها إقبال لمفهوم الإنسان الذي هو في نهاية المطاف مفهوم قرآني بامتياز.

ومن خلال هذا نجد أن التصوف والفكر الصوفي عامة، كان لهما أثر كبير في فكر مُحَمَّد إقبال، فهو قد نشأ في بيت صوفي وتربى على أفكار الصوفية. لكنه، في المقابل أيضاً، انتقد بعضاً منها بعد أن وجدها مخالفة لأصول الإسلام[2]؛ وذلك من منطلق أنه رآها تقتل في الإنسان الحيوية والإبداع وتحيل الإنسان إلى شخص عاطل بعيد عن الحركة والعمل. إن التصوف الذي يدعو إليه إقبال هو التصوف الإسلامي الشرعي أو بعبارة أخرى، التصوف الإيجابي، الذي يدعو إلى بناء الذات الإنسانية وليس هدمها، أما نوع التصوف السلبي فقد حاربه[3].

*فريدريش هيجل(1770-1831م) فيلسوف ،ألماني، تأثر بالنزعة الطبيعية اليونانية خصوصا وبالنزعة التنويرية في القرن 18م، تكلم في نظرية الوجود والماهية ونظرية التصور والفلسفة الطبيعية والتاريخ وكذا الأخلاق وعلم النفس، ومذهبه يقوم على الفكرة والطبيعة والروح، له عديد المؤلفات منها: "ظاهريات الروح" و"فلسفة القانون". أنظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج2، ص570-591.

*نيتشه فريدريك(1844م-1900م) فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة ومن أعظم الفلاسفة تأثيرا في القرن العشرين، وله مقولة " موت الإله". أنظر عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج2، ص507-508.

[1] زكي الميلاد، الفلسفة الذاتية في الفكر الإسلامي المعاصر عند مُحَمَّد إقبال، ص378.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ص12.

[3] موهوبي فاطمة، شروط النهضة في فكر مُحَمَّد إقبال، ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2015م-2016م، ص27.

المطلب الرابع: نماذج إنسانية في فكر إقبال

1- المرأة:

المرأة فضلا عن كونها مزرعة لإنتاج الحياة وبقاء النوع الإنساني فإنها تدفع إلى الإقدام والعمل، وتهدي الرجل وتلهمه فهي صانعة التاريخ ومربية الأجيال وقد قرنها الرسول ﷺ بالطيب والصلاة[1]، قالﷺ :"**حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**"[2]. وجعلت الجنة تحت أقدامها فلا يدخلها أحد حتى يطأطئ الرأس احتراما لها وتقديرا لشأنها[3]. وعن معاوية بن جاهمة السلمي، أن جاهمة جاء إلى النبيﷺ، فقال: يارسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: "**هل لك من أم؟**" قال: نعم، قال: "**فألزمها، فإن الجنة تحت رجليها**"[4]. وأي مسلم لا يقدرها ولا يحفظ مكانتها فقد جهل أحكام القرآن.

يذكر إقبال في ديوانه "أسرار بيخودي" هذه المعاني العظيمة فيقول:

«نغمات المرء عزف المرأة — هو من محنتها في عزة
كست الذكران رُبَّات الحجال — إن ثوب العشق من نسج الجمال
عشق الحجر رباه حجرها — ذلك اللحن حواه صدرها
الذي قد بهر الكون سناه — قُرن الطيب إليها والصلاة
جهل القرآن جهلا مسلم — قد رآها أمة لا تُعظم
(....) — (...)
قال خير الخلق وهو الحجة — تحت رجل الأمهات الجنة»[5].

---

[1] فهمي النجار: "مرتكزات الصحوة الإسلامية عند إقبال"، مجلة: الشاعر والمفكر الإسلامي مُحَمَّد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي-تأثره وتأثيره-،العدد:38، رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب البلاد العربية، ص275.

[2] العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، رقم 1089، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط:1، المكتبة العصرية، 1420هـ-2000م، ج1، ص391.

[3] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص201.

[4] النسائي، السنن الصغرى ، كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، رقم 3104، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط:2، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406هـ-1986م، ج6، ص11.

[5] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص233.

ويذكر إقبال في ديوانه "ضرب الكليم" فيقول:

«إنما المرأة لون في رسوم الكائنات.

لحنها ينفث نار الوجود في صدر الحياة.

ذلك الطين تعالى فوق أوج النيرات.

إنها درج لديها كل دُرُ من صفات.

ما لأفلاطون تروى من قضايا معضلات.

وهو منها كشرار من ذكي الجمرات»[1].

فالمرأة مخلوق بشرى له احترامه وتقديسه فهي كاللون الوسيم الجميل في اللوحة الفنية الرائعة وهي مصدر الجمال والحب والرحمة وآية العطف والحنان والنبل، وهي أنفاس الربيع الحلوة وأنشودة الحسن العذبة وهي مصدر الوجود وأم الفلاسفة والحكماء ولو أنها لم تتفلسف هي المدرسة الأولى للعقل الوليد والمعهد الأسنى للطفولة التي تحبو في فجر نشأتها. فهي بذلك لا تقل أهمية عن الجندي الذي يحمي الديار لأنه ابنها ولا تقل خطورة عن الحاكم الجبار المتربع على كرسي الإمارة لأنها هدهدته في مهده صغيرا. وروعته غلاما وأوحت إليه بالحب والسعادة شابا. ولا ينقص من قدرها أنها وزيرة في بيتها، وغيرها وزيرة في دواوين الحكومة، ولا يحط من قيمتها إنها تضع التكتيكات وترسم المنهج لمعركة الحياة لأبنائها في محيط منزلها[2].

وقد خاطب إقبال المرأة المسلمة في قصيدة بين لها فيها وظيفتها التربوية العظيمة في الأمة، فهي أساس قوة الأمة ووحدتها وصلاح أبنائها. وينصحها بأن تَسير على نهج السلف الصالح وإن فاطمة الزهراء ﵂ خير أسوة لها ويحذرها من فتنة العصر الحاضر الذي فيه هلاكها إن اتبعت دعاوى المضلين إلى حرية الانحلال[3].

[1] المصدر نفسه، ج2 ص80.

[2] نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ص122-123.

[3] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص202.

يقول إقبال في ديوان "أسرار بيخودي":

«بك يخضر غراس الوحدة بك ينمو رأس مال الملة

لا تسيري غير نهج السلف لا تبالي بحدي أو تلف

احذري فتنة عصر مهلك وإلى صدرك ضمي ولدك

بعدت عن عشها في خطر هذه الأفراخ لما تَطر

فيك تسمو للمعاني فطرة فاتبعي الزهراء، نعم الأسوة

على غصنا منك يأتي بحسين فترى النضرة روضات ذَوَين»[1]

يحذر إقبال النساء المسلمات من الدعوات الغريبة الضالة التي تنادي بحرية المرآة والتي تهدف إلى انحرافها وبُعدها عن أمومتها وصلاحها ومن ثم ترمي إلى إفساد الأمة الإسلامية وتقطيع أوصالها[2].

يقول إقبال في ديوانه "أسرار بيخودي":

«شُعَّ نور الغرب في فكرتها وتُرى الثورة في مقلتها.

قطعت أوصال هذي الأمة حين طاشت عينها بالنظرة

إن حريتها أصل البلاء إن حريتها فقد الحياء

ليلها ما ضاء فيه نجمها لم يطق أعباء أم علمها»[3]

فإن بقاء نوع الإنسان بالأمومة وحفظها واحترامها من أصول الإسلام حتى تصل إلى أوج الكمال واستحقاقها الوصول إلى رتبة خليفة الله في الأرض. فقد احتلت المرأة جانبا من تفكير إقبال، حتى

[1] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: عبد الماجد الغوري، ج1، ص236-237.

[2] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص202..

[3] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص234.

عدها العنصر الأساسي في توجيه الجيل الصاعد وبناء المجتمع السليم. فبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد، إذا هي ليست نصف المجتمع، بل هي المجتمع بأكمله[1].

«إنما الأم علينا رحمة وإلى الرسل لدينا نسبة

رأفة المرسل في رأفتها سير الأقوام من صنعتها

ومن الأم عَلت أقدارنا وبسيماها بدا مقدارنا»[2]

فإقبال يرى أن الأمومة رحمة، إنها تنسب للنبوة وهي تكتب سيرة الأمة، والأم هي الحجر الأول الذي يتربى فيه الإنسان، فيصلح هذا بصلاح الأم وبالحنان والعطف والتربية الصحيحة، ويفسد إذا فقد الأمومة وحنانها وعطفها ورعايتها[3].

«إنما الأمة من وصل الرحم دونه أمر حياة لا يتم

قال خير الخلق وهو الحجة: تحت رجل الأمهات الجنة

كشفت بالأم أسرار الحياه بخلال الأم تسيار الحياة

وبها في نهرنا يعلو العباب ويدوم الموج فيه والحباب»[4]

2-الإنسان الكامل:

ما يميز فكر مُحَمَّد إقبال أيضاً هو "الإنسان الكامل"، ففكرة الإنسان الكامل فكرة قديمة تناولها الصوفية كإبن عربي وعبد الكريم الجيلي من خلال كتابه الإنسان الكامل حيث يقول: «الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود، إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا

[1] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص203.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، ج1، ص233.

[3] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص203-204.

[4] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، 233-234.

يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضا مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل»[1].

كما أن الأنبياء والأولياء هم أصحاب الكمال بالفعل، فهم متفاوتون في الكمال فمنهم الكامل والأكمل ولم يتعين أحدا منهم بما تعين به مُحَمَّد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بإنفراده فيه، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله، فهو الإنسان الكامل والباقون من الأنبياء والأولياء والكُمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ومنتسبون إليه انتساب الفاضل بالأفضل. إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق[2].

ومُحَمَّد إقبال افتتح ديوانه "الأسرار والرموز" بمقطوعة لجلال الدين الرومي الذي اعتبره مرشدا روحيا له إذ يقول:

«رأيت الشيخ بالمصباح يسعى له في كل ناحية مجال

يقول: مللت أنعاما وهمًا وإنسانا أريد، فهل ينال؟

برمت برفقة خارت قواها برستم أو بحيدر اندمال

فقلنا: ذا محال قد بحثنا فقال: ومنيت هذا المحال»[3]

هذه القطعة تدل على تشوق إقبال إلى الإنسان الكامل الذي هو الإنسان المسلم، الإنسان الذي وصل إلى مقام العبودية المحضة، فقد اتخذها شعارا له للبحث عن هذا الإنسان يقول:« رأيت البارحة شيخا يدور حول المدينة، قد حمل مشعلا، كأنه يبحث عن شيء. قلت له يا سيدي! تبحث عن ماذا؟ قال: قد مللت معاشرة السباع والدواب، وضقت بها ذرعا، وخرجت أبحث عن إنسان في هذا العالم. لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام، الذين أجدهم حولي، فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال وبطل من الأبطال، يملأ عيني برجولته وشخصيته وبروح نفسي. قلت له: لقد

[1] عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م، ص212-213.

[2] المصدر نفسه، ص207.

[3] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص125.

غرتك نفسك يا هذا! فخرجت تقتنص العنقاء، بالله! لا تتعب نفسك، وأرجع أدراجك، فقد أجهدت نفسي، وأنضيت ركابي، ونقبت في البلاد، فلم أرى لهذا الكائن عينا ولا أثرا. قال الشيخ: إليك عيني، أيها الرجل! فأحب شيء إلى نفسي، أعزه وجودا، وأبعده منالاً»[1].

فالإنسان الكامل عند مُحَمَّد إقبال هو ذلك الإنسان «الذي يجمع بين المتناقضات من الأخلاق والصفات، وما هي بمتناقضات، ولكنها ظلال لأسماء الله، ومظاهر أخلاق الله، فهو في تسامحه ورحابة صدره، وكثرة صفحه قد تخلق بخلق الغفار، وفي شدته في الدين وغضبه للحق، وثورته على الباطل قد تخلق بخلق القهار، وهو في نزاهته وعفته وطهارة ضميره قد تخلق بخلق القدوس، وفي صلابته إذا تصلب وشدة شكيمته إذا أبى وشدة بطشه إذا حارب تخلق بخلق الجبار، ولا يكون المثل الكامل لدينه وصورة صادقة للإسلام حتى يجمع بين هذه الأخلاق المتنوعة فيجمع بين الشدة واللين، والغضب والرحمة، والصلابة والمرونة، والعفة والنزاهة ويكون بذلك آية من آيات الله»[2].

إن «هدف الإنسان الديني والأخلاقي، إثبات ذاته لا نفيها وعلى قدر تحقيق إنفراده، يقرب من هذا الهدف. قال الرسولﷺ: "**تخلقوا بأخلاق الله**"[3]. فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثيل وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يفني وجوده في وجود الله كما تقول فلسفة الإشراق بل هو على عكس هذا يمثل الخالق في نفسه[4].

بحث إقبال عن هذا الإنسان الكامل فوجد ضالته في الإنسان المسلم القوي بعقيدته وإيمانه الدائم بالعمل لإثبات وجوده الإنساني. «والذات الإنسانية هي ذات متصلة بذات الله لمعرفة حقيقة هذا الوجود وهذه الحقيقة ليست منفصلة عن العالم الخارجي بل ليست منعزلة عنه ساعية لتحقيق صفة المؤمن الكامل وذلك بوصول الإنسان إلى غايته وهي تحقيق الخلافة في الأرض»[5]. وهذا ما

---

[1] أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، ط:1، دمشق، دار الفكر، 1379هـ-1960م، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص59-60.

[3] قال الألباني: (لا أصل له)، شرح العقيدة الطحاوية، ط: 2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1414هـ، ص113.

[4] مُحَمَّد إقبال، ديوان الأسرار والرموز،ترجمة: عبد الوهاب عزام، ص19.

[5] عماري أمال ومرابطي نعيمة، التجديد الحضاري عند مُحَمَّد إقبال، ماستر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، الجزائر، 2014-2015م، ص72.

يؤكده مُحَمَّد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي وهو يؤكد على النفس الإنسانية "الذات الإنسانية" عند مُحَمَّد إقبال قائلا: «الإنسان في حس إقبال طاقة كونية ضخمة تتمثل فيها كل طاقات الوجود إنها قبس من نور. قبس من القدرة الخالقة وذلك معنى أن الإنسان خليفة الله في الأرض وهو بذلك أثمن ما في الوجود كله، وأقدر ما في الوجود كله، وذلك حين يستمد من الله قوته فهكذا خلقت الروح الإنسانية أو النفس بحيث تستمد من قوة الأول والأبد فتشرق وتشتعل وتصبح طاقة كونية مريدة فاعلة»[1]. ويمكن القول أن مفهوم تجلي الأسماء الإلهية في العالم وفي الإنسان هو من أهم المفاهيم الأساسية التي ترسم لنا أبعاداً عقائدية كبيرة تحدد ملامح أهمية ومفهوم الإنسان، هاته الملامح وهذه الأهمية هي التي حاول أن يستثمرها بامتياز مُحَمَّد إقبال في رؤيته للإنسان الكامل في إطار درس العقيدة الإسلامية.

ويذكر مُحَمَّد إقبال في ديوانه "الأسرار والرموز" أن الذات لا تتحقق حتى تمر بثلاث مراحل على التسلسل وهي الطاعة الإلهية وضبط النفس والنيابة الإلهية.

1-الطاعة الإلهية: تعد الطاعة شكل من أشكال بناء الذات، وتقويها وتضاعف من فرص كمالها، فالطاعة بالمفهوم العام تعني الانقياد لأوامر الله ﷻ وعند الصوفية هي: « منافسة شريفة صادقة للتقرب إلى الله إلى أن يصل العبد إلى الثبات في المرتبة فتتلاشى مشيئته في الله فيصبح بذلك خاشعا لله. والطاعة هي عدم الغفلة عن ذكر الله وهي في نفس الوقت عدم المخالفة والاعتراض لأوامره ونواهيه»[2]. فهي بهذا الامتثال لأوامر الله واجتناب لنواهيه نجد أن الإنسان مجبور ومقيد وإن كانت شدائد وصعاب على الإنسان تحملها، وهكذا شبه إقبال الإنسان بجمل الصحراء الذي يرمز إلى الطاعة والصبر ولتحمل والرضا وهي صفات تنطبق على الإنسان المؤمن الطائع، الذي يرمز إلى الطاعة والصبر والتحمل والرضا ويقول إقبال في ديوانه "الأسرار والرموز":

«ألفة الكد شعار الجمل شيمة الصبر وقار الجمل

صامت الأخفاف يمشي ماضيا زورقا في البيد يسري هاديا

[1] مُحَمَّد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط:6، بيروت، دار الشروق، 1403هـ-1983م، ص184.

[2] حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط:1، القاهرة، مؤسسة مختار، 1987م، ص198.

نقشت وجه الصحاري أرجله شارد النوم قليل أكله

ثملا يختال تحت المحمل راقصا يقدم شطر المنزل

في المدى من راكبيه أصبر هائما بالسير عجبا يخطر»[1]

2-**ضبط النفس:** يعتبر ضبط النفس وجهادها مبدأ مهم من مبادئ تقويتها ذلك حين تتخلص من شهواتها ومغريات الحياة والخوف، متماسكة بالتوحيد الذي يجنبها الوقوع في الزلل والمنكرات، وبهذا تميز الحق من الباطل لتبلغ أرقى مراتب السمو، ويجب على الإنسان أن يملأ قلبه بالإيمان ويتحلى بطاعة الله تعالى لكي تسمو الذات نحو الكمال[2]. «ويقول إقبال في ضبط النفس إن نفسك يا ابن آدم مثل الجمل المعتز بنفسه المتكبر الجريء العنيد، فكن رجلا وقد زمامها بالكف حتى تصبح جوهرا إن تك خزفا، وكل من لا يحكم على نفسه يحكم عليه الآخرون وخير الطريق إلى ضبط النفس الحفاظ على الفرائض الدينية. فالصلاة درة التوحيد والحج هجرة عن الأهل والوطن فهو نور لقلب المؤمن والزكاة تزكية للنفس والمال، ودرس في التعاون والمساواة ومحبة الآخرين»[3].

يقول إقبال: «جمل نفسك تربو بالعلف في إباء وعناد وصلف

فكن الحر وقدها بزمام تبلغن من ضبطها أعلى مقام

كل من نفسه لا يحكم هو في حكم سواه مرغم

من يمسك بعصا من "لا إله" فلتحطم طلسم الخوف يداه

كل من بالحق أحيا نفسه لا ترى الباطل يحني رأسه»[4]

[1] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص153.

[2] عماري أمال ومرابطي نعيمة، التجديد الحضاري عند مُحَمَّد إقبال، ص74.

[3] خليل الرحمان عبد الرحمان، مُحَمَّد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، درجة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404-1405هـ، ص141.

[4] مُحَمَّد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ص42.

3-النيابة الإلهية: إذا تمكن الإنسان بطاقاته التي وهبها له الله تعالى من طاعة المولى وضبط النفس فقد صار إنسانا بمعنى الكلمة، بحيث إنه أصبح سيد نفسه وليس عبدا لها، فهو الذي يقودها وليس هي، وبهذا يكون قد وصل الإنسان إلى النيابة الإلهية الخلافة وهي أسمى منازل العارفين الذين يتخلقون بأخلاق الله[1]. قال تعالى:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة: 54]. والذين ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنبياء: 27].

ويصف إقبال هذا الإنسان الكامل المتعالي على هوى شهواته بقوله:

نائب الحق على الأرض سعيد حكمه في الكون خلد لا يبيد

هو بالجزء وبالكل خبير وبأمر الله في الأرض أمير

هو في الناس بشير ونذير وهو جندي وارع وأمير[2]

الإنسان الكامل عند إقبال هي الصورة التي تنطبق على كل رجل مؤمن ولكن إقبال يراها عمليا في الرسولﷺ ثم في خلفائه وغيرهم من صحابته متمثلة في صدق النية وعلو الهمة والشجاعة والعزوف عن متاع الدنيا أو الاستسلام للشهوات وهم بهذا وضعوا عمليا صورة لما يكون عليه الإنسان الكامل[3]. وهو بهذا يتلاقى مع النص القرآني: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: 21].

وهكذا نخلص إلى أن مفهوم الإنسان الكامل عند إقبال يمثل غاية الغايات التي نشدها المؤمن الصادق صاحب الهمة العالية، وهو بهذا يؤسس لمفهوم عميق للإنسان في الدرس العقدي المعاصر انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن آثار العلماء العاملين الكبار.

[1] محمد الساعدي، محمد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص344-345.

[2] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ص43.

[3] محمد أعظم الندوي، "الذات في أدب إقبال مفهومها ومعالم بنائها ودورها في النهوض الحضاري للأمة"، ص178.

المبحث الثالث:

الإنسان بين فكر إقبال والحداثة الغربية

المطلب الأول: العقلانية

المطلب الثاني: الذاتية

المطلب الثالث: الحرية

الإنسان بين فكر إقبال والحداثة الغربية

بعد أن تطرقنا في المبحث السابق إلى مفهوم ومعنى الإنسان عند إقبال ورأينا مدى تجذر هذا المفهوم وأهميته في إطار العقيدة الإسلامية، سنحاول في هذا المبحث التحدث عن التمايز بين مفهوم الإنسان عند إقبال ومفهوم الإنسان في الحداثة الغربية انطلاقا من أن إقبال كان دارسا جيدا للفكر الغربي، وهذا في ثلاثة جوانب أساسية تشكل أسس الحداثة المعاصرة هي: العقلانية والذاتية والحرية. ولكن قبل ذلك ما هي الحداثة؟

إن الحداثة عموماً هي حركة فكرية فلسفية حديثة لها رؤية شاملة للإنسان وللعالم، أذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوربا وأنزلت العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، وكرست الإنسان هدفا نهائيا للتحرر والتقدم وكأنها ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم عنوانها: العقلانية القاطع للصلة بينها وبين الماضي البالي كما صورها أصحابها، آخذة طريقها نحو التحديث في شتى مجالات الحياة[1]. فما العقلانية ؟

المطلب الأول: العقلانية

العقلانية نسبة إلى العقل من حيث إرجاع الحكم إليه في كل شيء باعتباره حاكما لا محكوما، فاعلاً لا منفعلاً، بغض النظر عن الوحي أو التجارب. فالعقل يعرف بمفرده طبيعة الكون والوجود كله، وكل المعلومات يكون العقل قد سبق غيره في تعقلها. ويمكن اعتبار أن أساس هذا المنظور هو الفلسفة الإغريقية القديمة لـ"أرسطو" خاصة و الفلسفة الحديثة لـ"رينيه ديكارت" *R.Descartes بامتياز، وغيرهما من الفلسفات الأخرى[2]. ويذهب مؤرخو الوعي الأوربي إلى أن العقل الإنساني أو قل الأوروبي قد عاش أدوارا متناقضة ومراحل مختلفة وهي كالآتي:

---

[1] بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، ط:1، بيروت، 2001م، ص30.

[2] غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ط:1، جدة، المكتبة العصرية الذهبية، 1467هـ-2006م، ج1، ص619-621.

*رينيه ديكارت(1595-1650م) فيلسوف فرنسي كبير، يعد رائد الفلسفة الحديثة، يعرف بالفلسفة العقلية وأخذ من الشك منهجا لها، عرف بمقولته الشهيرة "الكوجيتو" التي مفادها " أفكر إذن أنا موجود". له العديد من المؤلفات منها: "مقال في المنهج" و"التأملات في الفلسفة الأولى" و"مبادئ الفلسفة". أنظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، ص488-498.

1-المرحلة الأولى: تم فيها تقديس العقل فكان هو المعيار لكل شيء بداية مع "أرسطو" الذي عرف العقل بقوله:"هو جوهر قائم بذاته يحكم ولا يحكم عليه مكتفيا ومستغنيا على غيره يستخدم في تحصيل المعرفة وبلوغ الحقيقة واليقين وفق مبادئه الأساسية".

2-المرحلة الثانية: فيها تم إخفات صوت العقل والعقلانيين والعقلانية من طرف رجال الكنيسة باسم الدين النصراني لمدة من الزمن.

3-المرحلة الثالثة: تم فيها إعادة إحياء هذا العقل بعد الركود واعتبار العقل مصدرا للمعرفة ومصدرا للتشريع تحليلا وتحريما، صحة وبطلانا والعقائد الدينية يجب أن تختبر بالمعيار العقلي، وهذا ما حمل لواءه فلاسفة عصر التنوير والوقوف في وجه الكنيسة ودينها ورجالها، والانفلات من جميع قيودها[1].

العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي بكل مستتبعاته، فالعقلانية هي مفتاح الحداثة وروح الإنسان الحديث، بخلاف ما شهدته العصور الوسطى من فوضى وهوى وخرافه. وعلى هذا فالفكر الفلسفي في المناخ الكلاسيكي الغربي قد أسس حداثته بمحاولة إعادة الاعتبار إلى العقل وبهذا تأسست الحداثة على إعطاء أهمية خاصة للعقل، إذ أصبح مبدأ لكل نشاط علمي ومرجعا لكل معرفة، ومن شأنه أن يحدد علاقته الشائكة بذاته (الوجود الداخلي) وما يحيط به (الوجود الخارجي). وما يترتب على القول بعقلانية الحداثة الغربية نوجزه في ما يلي:

أ- عقلنة القول العلمي: وذلك بقطع الصلة بين العلم والتصورات الميتافيزيقية وتخليصه من هيمنة الأديولوجيا الدينية واعتماد العقل البرهاني والتجريب. وقد ظهر مع ديكارت.

ب- عقلنة القول السياسي:جعل الظاهرة السياسية مستقلة قابلة للفهم العقلي فأصبح الفعل السياسي منفصلا عن ميتافيزيقا التفكير في تدبير شؤون الدولة ومن أبرز ملامح العقلانية في الفعل السياسي تقويض أركان نظرية "التفويض الإلهي" وقيام نظرية العقد الاجتماعي في تصور قيام مجتمع ديمقراطي.
ج- عقلنة القول التاريخي: كانت للحداثة أن تعاود قراءة التاريخ بتجاوز الأطروحة المسيحية التي تجعل بداية التاريخ بمولد المسيح عليه السلام وما يترتب عن هذا هو عقلنة التاريخ التي تتطلب الانفصال عن التقاليد عموما وعلى النقل خصوصا ونلمسها من خلال أعمال كانط وهيجل.

[1] غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ج1،ص621-622.

د- عقلنة القول الديني: أي اقتحام العقل قلاع الخطاب الديني واختراق حصونه أي قراءة النص الديني قراءة تستجيب لمتطلبات العصر وتقوية فكرة الإيمان متجاهلا في ذلك الموروث المنقول أي التدخل في جميع مستوياته[1]. وبهذا نجد الحداثة الغربية اتخذت من العقلانية أساسا لها لتنفي بها كل صنوف الاعتباط والفوضى التي سادت العهد القديم.

وقد أنبهر الجيل الجديد من شباب المسلمين بالثقافة الأوربية وما أنتجته عبر العديد من العصور، خاصة ما شهدته في عصر التنوير وعصر الإحياء التي تم فيها تفجير العقل وسط المجتمع الأوربي وكذا المناداة بالمساواة والحرية بعد قيام بعض الثورات في العديد من الدول الأوربية وظهور العديد من الاكتشافات، في مقابل ذلك عملت على تقليص دور الدين في جميع مجالات الحياة.

وهناك العديد من العلماء المسلمين الذين تقربوا من الثقافة الأوربية وخاصة المفكرين المعاصرين منهم، ومنهم مُحَمَّد إقبال الذي قضى سنوات من عمره يدرس الفلسفة الأوربية حتى فهمها وتمكن منها. رغم ذلك لم يكن إقبال قد تأثر بأي فلسفة منها بل بالعكس عمل على مناقشة آراء وأفكار المفكرين الأوربيين الذين عاصر بعضهم ودرس على البعض الآخر منهم. واتخذ مُحَمَّد إقبال من كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام" خطاباً خاطب به الفلاسفة الأوربيين وناقشهم في مقولاتهم ونظرياتهم كما حاول أن يقدم فهما صحيحا للإسلام بوصفه رسالة للإنسانية كافة.

في هذا الكتاب يذكر إقبال أنه حاول إعادة بناء الفلسفة الإسلامية: " بناء جديدا، آخذا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة"[2]. وكأن القصد من إشارة إقبال إلى المأثور من فلسفة الإسلام، هو العودة إلى قراءة القرآن الكريم في محاولة لإعادة اكتشاف الرؤية القرآنية وفي التعرف عليها. ولكي يبرهن على أن القرآن هو منبع فلسفة الإسلام وروح هذه الفلسفة وجوهرها يعارض الفلسفة اليونانية التي طبعت وشكلت فلسفة المسلمين، وأول ما نبه إليه هو كيف أن الفلسفة اليونانية قد غشت على أبصار مفكري الإسلام في فَهم القرآن، فَهُم أقبلوا على فهم القرآن في ضوء الفلسفة اليونانية وأعطى مثالا على ذلك بالغزالي، وقد نافح عنه كثيرا في كتبه، الذي اتجه لإقامة البرهان على العقيدة على دعائم من التشكيك

[1] بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، ص43-47.

[2] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص4.

الفلسفي في بداية أمره وهو بهذا قد خالف روح القرآن الكريم. وكذلك ابن رشد المنافح على الفلسفة اليونانية والمتأثر بأرسطو والمصطنع للمذهب القائل بخلود العقل الفعّال وهو في رأي إقبال يتعارض تماما مع فطرة القرآن في تنبيهه على قيمة الذات الإنسانية وإلى مصيرها[1].

وعلى الرغم من التطورات الفكرية الكبيرة التي حدثت مع الحضارة الغربية وبما فتحه الفكر الغربي من آفاق جديدة للنظر والبحث في قضايا الدين والعلم، إلا أن إقبال ظل يحذر الإنسان المسلم من الانبهار بالصورة الظاهرية لهذه الحضارة المتجلية في عقلانيتها وكبار فلاسفتها العقلانيين ونسيان عمقها غير الديني، فهو يراها حضارة مادية لا دينية تصارع الحق، وتبعث بوثنية جديدة[2]. وفي هذا يوجه للإنسان المسلم بقوله: "ولكن إياك والحضارة اللادينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق، إن هذه الفتانة تجلب فتناً وتعيد اللات والعزة إلى الحرم، إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح تموت عطشا في سرابها، إنها تقضي على لوعة القلب بل تنزع القلب من القلب، إنها لص قد تمرن على اللصوصية فأغار نهارا وجهارا، وإنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له"[3]. بل إن الحضارة الغربية الحديثة لا تنفك تفتك بالإنسان وإنسانيته فقد انتزعت منه نور الحق، حيث يقول:" إن شعار الحضارة الحديث الفتك ببني آدم، الذي تقوم عليه تجارتها، وتنفق سلعتها، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام مالم يَعُد هذا النظام رأسا على عقب". كما أنها حضارة خلت من العفة والروح وجمال الذوق والوجدان لهذا فإن ثقافتها تفسد القلب والعقل معاً[4]. وفي ديوانه "ضرب الكليم" يقول إقبال عن الحضارة الغربية:

«أرى تثقيف الإفرنج فساد القلب والنظر
فروح حضارة لهم خلت من عفة الوطر
إذا ما الروح جانبها جمال الصفو والطهر

[1] زكي الميلاد، مُحَمَّد إقبال والتجديد الديني والفلسفي، ص59-61.

[2] بدران مسعود بن لحسن: "المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي عند العلامة مُحَمَّد إقبال"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:84، 1437هـ-2016م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص63.

[3] أبو الحسن علي الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط:4، الكويت، دار القلم، 1403هـ-1983م، ص82.

[4] بدران مسعود بن لحسن: "المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي عند العلامة مُحَمَّد إقبال"، ص63.

فأين جمال وجدان ولطف الذوق والفكر»[1]

نستخلص من هذا أن الحداثة الغربية أعلت كثيرا من قيمة العقل حتى أحلته محل الله تعالى، ولكن في المقابل نجد مُحَمَّد إقبال انطلاقا من القرآن الكريم يؤكد على قوة الجانب الروحي في حياة الإنسان كما وجه تنبيها إلى أمم الشرق يحذرهم من الانخداع بالصورة البراقة التي تقدمها العقلانية الأوروبية التي جعلت من المادة أساسا لها.

المطلب الثاني: الذاتية

الحداثة في معناها القريب والمباشر هي إلاء الأولوية للذات كونها استعادت ثقة الإنسان في فكره وحقه وملكه ومسؤوليته إذ وجد الإنسان المتعة لا في ما قرره التقليد المسيحي الذي أفتى به القس أو أمر به القوم وإنما وجدها في أعماله بما هو فرد ذو طبيعة حرة وعاقلة[2]. فالفكر الحداثي أعاد تشكيل نظرة الإنسان إلى ذاته كذات مستقلة هي مقر ومرج الحقيقة واليقين وهي المركز والمرجع الذي تنسب إليه الحقيقة لكل شيء أي تنصيب الإنسان ككائن مستقل وواعي وساعي ومالك للحقيقة. وأبرز ملمح تجلى فيه قيام الحداثة على الذاتية كان في أعمال ديكارت الذي وجه الفلسفة الحديثة نحو الذات فمع الكوجيتو الديكارتي "أفكر إذن أنا موجود" أصبحت فيه الذات المفكرة مركزا ومرجعا لكل حقيقة، وبهذا أصبح العقل مجبرا على الانحياز إلى الذات ليستمد منها اليقين وفي الوقت نفسه تطلب منه ليمنحها التبرير الذي يحتاجه لعقلنة أفعالها وأعمالها ومختلف ممارساتها[3]. فقد كان هذا الفكر الفلسفي الغربي الحديث يصبو للتخلص من استبداد الكنيسة وسيطرت الباباوات وطغيانهم باسم الدين وبما أن الذاتية هي الأساس الفلسفي للحداثة فقد أصبح الإنسان بمقتضاها "مقياسا لكل شيء" كما يذهب الفيلسوف اليوناني السوفسطائي بروتاغوراس*Protagoras. فالذاتية بهذا تصبح ملازمة للإرادة والرغبة في المعرفة، الشيء الذي يعني اقتحام كل الميادين من دون تردد، وكل تمظهرات الحياة وتعابيرها لمعرفتها عن حقيقتها.

---

[1] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: عبد الماجد الغوري، ج2، ص63.

[2] بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، ص47.

[3] المرجع نفسه، ص 48.

*بروتاغوراس(485-411ق.م) سفسطائي يوناني صاحب المذهب الحسي والنسبي، صاحب المقولة المشهورة "الإنسان مقياس الأشياء". أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط:3، بيروت، دار الطليعة، 2006م، ص170.

وبهذا تكون ثمرة انتصار الحداثة هي تحرير الروح، واستقلالية الذات البشرية، وتقابل الإنسان مع نفسه كذات واعية، سيدة مريدة وفعالة.

كما خلصت نتائج الثورة الفرنسية التي فرضت مبدأ الذاتية كقاعدة أساسية للدولة (الحياة الدينية، الدولة، والمجتمع، والعلم، والأخلاق، والفن) كتجسيدات لمبدأ الذاتية وفاعليتها، وبهذا تكون الحداثة الغربية تتشوق إلى حياة حرة عاقلة تسمح للذات العاقلة بأن تكون حرة في علمها وعملها[1].

هذا ما تقدمه الحضارة الغربية من تصور للذاتية، أما مفكرنا مُحَمَّد إقبال فله كلام آخر كما رأينا، مستندا على القرآن الكريم وجاعلا منه منبعا رئيسيا في فكره فهو يهدف لإثبات الذات الإنسانية وتحقيق وجودها وتحصينها، لكي تبلغ أعلى المنازل، وتصل إلى درجة الإنسان الكامل، لتحقق بذلك ليس فقط إنسانية الإنسان بل إنسانية الإنسان الرباني خليفة الرحمن، وليس الإنسان الإله كما يكرسه "مبدأ الذاتية"في الحداثة الغربية. قال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ١٠٥ ﴾[التوبة: 105]. وقوله تعالى أيضا:﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾[القصص: 77]. هذا العمل يقوي الذات التي هي مركز الكون وفي هذا يقول إقبال عن الذات في أسرار إثبات الذات "أسرار خودي":

«هيكل الأكوان من آثارها — كل ما تبصر من أسرارها
نفسها قد أيقضت حتى أنجلى — عالم الأفكار ما بين الملا
ألف كون مختلف في ذاتها — غيرها يثبت من إثباتها»[2]

و إذا كان الفيلسوف برادلي* F. Bradly يرى أن كل ذات مفردة هي خداع نظر باطل، فإن إقبال يرى عكس هذا في أن الذات حق لا باطل. كما أن إقبال يهدف إلى تقوية الذات وتحصينها

[1] بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، ص50-56.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: عبد الماجد الغوري، ج1، ص133.

*برادلي فرنسيس هربرت(1846-1924) فيلسوف إنجليزي، تأثر بكل من المنهج النقدي لكانط والجدلية الهيجلية وكما تأثر أيضا بفلسفة برغسون خاصة في المذهب الحيوي، له العديد من المؤلفات منها: "الظاهر والواقع" و"محاولات في الحقيقة والواقع" و"نقد شروط الفعل". أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص156-157.

واستحكامها وكل ما يقوي الذات فهو خير، وما يقوي الذات عنده هو الحب والعشق، فكما يقول ديكارت: "أفكر إذا أنا موجود"، إقبال لا يُقّر بهذا الرأي، فيقول: "إنني عاشق، إذاً فأنا أحيا". والعشق عنده يتمثل بعشق الأمل، وعشق المثل الأعلى الذي ينير الذات ويظهر ما فيها من قوى، ومثل المسلم العاشق هو الرسول ﷺ. وبهذا يكون العشق والمحبة يمثلان شحنة وطاقة روحية للذات فتدفعها نحو الأمام ونحو العلو والارتقاء ولولا العشق لما بقيت الحياة[1]. ويقول إقبال في ديوانه "بيام مشرق":

«العقل يحرق عالمنا في جلوة منه تغير
لكنه بالعشق يعرف كيف في الدنيا يسير
العشق في الأرواح يخلق كل لون أو يثير
إني لا أذكر راقصا ذا الحرف أو هو بي يدور
ما كل معنى ينطوي في اللفظ كم معنى يثور
أنصت لقلبك ساعة فلعلما يدنو العسير»[2]

المطلب الثالث: الحرية

الحرية كأساس للحداثة التي جعلت الإرادة البشرية أساس بناء المجتمع والدولة الحديثة. فالحرية في الفكر الحداثي هي جوهر الكائن البشري وغاية وجوده وهي شرط لتحقيق الكمال والخلق الذاتي فهي الشرط الضروري للحصول على مشروعية الفعل الأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. وقد كانت البذور الأولى لظهور الحرية كأساس للحداثة ابتداءا بديكارت ولايبنتز*G.Leibentz اللذان عمما مبدأ الإرادة وجعل كل كائن مريدا وانتهت بكانط الذي جعل من الإنسان الكائن الحر

*لايبنتز(1646-1716م) فيلسوف ألماني، ولاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ ودبلوماسي، له العديد من المؤلفات منها: "في إصلاح الفلسفة الأولى وفي معنى الجوهر" و"المذهب الجديد في الطبيعة وفي اتصال الجواهر".أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص578-581.

[1] مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ص350-351.

[2] مُحَمَّد إقبال، ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: عبد الماجد الغوري، ج1، ص229-300.

بامتياز وجعل من الحرية مقدرة الإنسان على التشريع لنفسه وذلك من دون سند خارجي ولا عون موضوعي[1]. وأبرز مظهر تجلت فيه الحرية كأساس للحداثة كان في المجال السياسي، وتحديدا في الفعل الديمقراطي، فالديمقراطية كنظرية أو كممارسة تعد نتاجا للمشروع السياسي الحداثي، إذ التفكير في العمل الديمقراطي خارج الأرضية الفلسفية والسياسية الحداثية المؤطرة لهذا العمل لنتأكد من المواكبة الحاصلة ضمن هذا التاريخ، بين المرجعية الفلسفية والحداثية، وتجلياتها في الفضاء السياسي والاجتماعي والثقافي كفضاء ديمقراطي[2]. ولم يتوقف أساس الحرية عند حدود التأثير في الشأن أو المشهد السياسي عبر الديمقراطية، بل امتد إلى الشأن أو المشهد الإقتصادي عبر الليبرالية كمذهب والذي نجد فيه تجذر مفهوم الحرية ، ويكفي أن الليبرالية اشتقت من كلمة حرية Liberté ، فالليبرالية تولي الحرية المرتبة الرئيسية الرائدة في اهتمامها كونها مبدأ وقاعدة تمكن الأفراد من تحقيق كمالهم وذاتيتهم، وبلوغ سعادتهم الفردية والجماعية[3].

لكن فكرة الحرية سوف نجدها عند إقبال قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، فمنذ نزول سيدنا آدم وحواء من الجنة إلى الأرض، بسبب معصية الله ﷻ يقول إقبال:"فالمعصية الأولى للإنسان كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار، ولهذا تاب الله عليه وغفر له"[4]. وهذا الهبوط حمل معنى الارتقاء من الشعور البسيط إلى الشعور بالحرية فهو حُر في أفعاله وتصرفاته واختياراته وعلى هذا فإن هذه الحادثة يراها إقبال أن فيها ارتقاء للذات الإنسانية وإبراز القدرة على الاختيار فهي تبرز الأبعاد الذاتية للإنسان في نموها من حالة بدائية إلى مرحلة أكثر تطورا. فالحرية عند إقبال هي فطرة الحر التي لا تطيق القيد، هي مثل العين التي تشق الصخر بعد غوص في الذات كما فعل موسى الكليم وهو يضرب بالصخر فانشقت منه العيون. والإنسان مخيرا تخيرا كاملا، فهو حر من جهة خلق أفعاله ويسيرها كما يشاء، ومقيد من جهة أخرى أنه مقيد بالقدرة على قيام بالفعل من الله تعالى. فحرية الإنسان عند إقبال هي حرية كاملة لأن كرامته هي أيضا كاملة، ويعطي للإنسان حرية لا تعارض

[1] بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، ص50-51.

[2] المرجع السابق، ص52-53.

[3] المرجع نفسه، ص54.

[4] مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص103.

فيها بين أفعال الله وأفعال الإنسان، بل على العكس من هذا فإن أفعال الإنسان ومبادراته الفردية هي نماذج تؤكد مطلقية الفعل الإلهي.

والحرية والذاتية تحكمهما علاقة تأثير وتأثر فالذاتية تساهم في بناء الحرية، والحرية تساهم في خلق الذاتية وتقويتها والارتقاء بها إلى مستوى الكمال، كما أن الحرية المثلى لا تتحقق إلا في الإنسان الكامل الذي يلقبه إقبال "بالإنسان الحر"[1].

وحرية الفكر في نظر إقبال لا تعني الخروج عن القيم والابتعاد عن المألوف، والانسلاخ عن الهوية كما هو في الحداثة الغربية، بل هي تدبر العالم، فلو وضعت حرية الأفكار في رأس جاهل لجعل الناس بهائم. كما أحيا إقبال بفكره أفق تحرر الشعوب، فقد آن الأوان كي يتحرر الشرق بالثورة على النفوس وكسر القيود[2].

كما يفضل إقبال النظام الديمقراطي الذي يقوم على الاعتراف بحق الشعب في تقرير المصير، فالديمقراطية ليست في السياسة بل أيضا في العلم. إذ تؤثر الأفكار وتتأثر بغيرها. فنمو روح الفردية في السياسة لها أثرها على الفكر العلمي الحديث، فالفكر الحديث ينظر للعالم باعتباره ديمقراطية الذرات الحية. والديمقراطية في أوربا نشأت مغطاة بظلال الثورة الاشتراكية، والخوف الفوضوي من الانتعاش الإقتصادي للمجتمعات الأوربية، أما الديمقراطية الإسلامية فلم تُنمي من زيادة الفرص الاقتصادية لقوة كامنة يمكن تنمية أمكانتها بتربية شخصية نوعية، ومن الدهاء خروج رجال من أنبل الشخصيات المملوءة بالحياة والقوة. فالديمقراطية تعني حكم الشعب بنفسه، وهي تحقيق الروح للشعب، وإثبات الذات إثبات الشعب[3].

وهكذا نخلص إلى أن مفهوم الإنسان عند إقبال يتمايز بوضوح عن مفهوم الحداثة الغربية له. وهو بذلك يعطي معنى عقديا أصيلا للإنسان انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية في أهم المرتكزات ألا وهي العقلانية والذاتية والحرية.

---

[1] عماري أمال ومرابطي نعيمة، التجديد الحضاري عند مُحَمَّد إقبال، ص78-80.

[2] عاشور مزيلخ، "أفق الخطاب النقدي ومنطلقاته المعرفية والفكرية والفلسفات في مشروع إقبال الحضاري"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:84، 1437هـ-2016م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص75.

[3] حسن حنفي، مُحَمَّد إقبال فيلسوف الذاتية، ص525.

خاتمة

خاتمة

لقد عالج مُحَمَّد إقبال في مشروعه الفكري ككل مسألة الإنسان مشدداً على الذات الإنسانية فيها، وهذا في كثير من أعماله خاصة الشعرية منها، حيث خصص له ديوان كامل يسمى بديوان إثبات الذات "أسرار خودي"، وكذا ديوان أسرار نفي الذات "أسرار بيخودي"، وبين نفي الإنسان من جهة وإثباته من جهة أخرى تتضح معالم وجوده وأهميته في هذا العالم. إثبات وجوده من خلال إثبات الذاتية له، ونفي وجوده من خلال أنه لا قيام لذاتيته إلا بخالقه الذي وهبها له. وإذا أراد الإنسان أن يقدر أهميته فلينظر إلى ذاته ليس استقلالا كما هي في الرؤية الحداثة الغربية، بل على أساس أنه مظهر من مظاهر أسماء وصفات الله عزّ وجلّ خالقه الذي منح له الوجود والحياة. تلك هي الفكرة والإجابة الأساس و المركز في إطار الحديث عن أهمية الإنسان في الدرس العقدي في الإسلام من خلال نموذج مُحَمَّد إقبال، كما حاولنا استشكالها في مقدمة هذا البحث. وقد عبّر مُحَمَّد إقبال عن أفكاره ومشروعه بوضوح قائلا: "لن يكون إصلاح على جميع المستويات إذا لم يبدأ هذا الإصلاح من الإنسان نفسه"، فالإنسان عنده له المركزية في التغيير والإصلاح؛ ذلك أن نموذج الإنسان هو "الإنسان الكامل" الذي ما هو في حقيقة الأمر إلا سرّ أسماء الحق تعالى في الوجود.

هذا، وقد رصدنا بعض النتائج المهمة الآتية، فضلا عن بعض النتائج الجزئية المذكورة في البحث والتي تصب دائما في إطار محاولة الإجابة عن إشكالية البحث وأسئلته الجزئية:

1-اتخذ مُحَمَّد إقبال من القرآن منبعا لرؤيته وأفكاره حول الإنسان، وقد استنبط منه واستدل به وحاجج به تارة أخرى، فهو النموذج الذي حافظ به على هويته الإسلامية ولم يتغير رغم اقترابه من الفلسفات الأوربية الحديثة بعد تعمقه فيها وتكوين معرفة رصينة بها.

2-كي يصل الإنسان إلى الكمال وفق منظور إقبال يجب أن يتبع المنهج الذي حدده في الطاعة وضبط النفس والنيابة الإلهية للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل.

3- إن الإنسان هو محور أساسي في الدرس العقدي في الإسلام لا يمكن إغفاله إطلاقا، ذلك ما يمكن استنتاجه بجلاء في رؤية مُحَمَّد إقبال. ويأتي عقل الإنسان وذاتيته وحريته ومسؤوليته لا لتنشئه ذاتاً إلهية مستقلة، بل تأتي لتؤهله إلى مرتبة الاستخلاف وإلى تَمَثُّل نموذج الكامل في ذلك وهو القدوة الرسولﷺ إذ يمثل عند إقبال كمال الإنسان الكامل.

4- إن أهمية الإنسان في الدرس العقدي المعاصر لا تأتي من خلال مفهوم إنسانية الإنسان فقط كما تطرحه الحضارة الغربية المعاصرة، بل تأتي من مفهوم إنسانية الإنسان الرباني خليفة الرحمن كما يؤسس لها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

تمت بحمد الله ﷻ.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	الآية	الصفحة
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴾	البقرة	30	16
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ .. ﴾	البقرة	33-30	18-7
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	البقرة	164	18
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	آل عمران	110	10
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ... ﴾	النساء	28	9
﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	المائدة	54	36
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	الأنعام	164	10
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾	الأنعام	165	16-8
﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ... ﴾	هود	9	9
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ... ﴾	الرعد	11	17
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾	إبراهيم	34-32	8
﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾	الحجر	26	6
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ... ﴾	النحل	4	7
﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ... ﴾	الإسراء	70	9
﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ... ﴾	طه	122	16
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ... ﴾	المؤمنون	12	6
﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ... ﴾	الأنبياء	27	36

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ... ﴾	لقمان	20	8
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ ... ﴾	الأحزاب	21	37
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ ... ﴾	الأحزاب	72	16-9
﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ... ﴾	الجاثية	13-12	8
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ ... ﴾	الذاريات	56	9
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ ... ﴾	الرحمان	14	6
﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ... ﴾	المعارج	21-19	9
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ... ﴾	الإنسان	2-1	7
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ... ﴾	الانشقاق	19-16	17
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ... ﴾	التين	5-4	16-6

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
"تخلقوا بأخلاق الله"	34-46
"حبب إلي من دنياكم ثلاث"	28
"فألزمها، فإن الجنة..."	29

فهرس الأعلام

(أ)

آن ماري شميل، ص24.

ابن عباس، ص2.

ابن رشد، ص24،42.

إيمانويل كانط، ص24،40،46.

أبو الهذيل العلاف، ص3.

أبو حامد الغزالي، ص3،23،41.

أبو نصر الفارابي، ص5.

أبو منصور، ص2.

أبو منصور الحلاج، ص26،27.

أفلاطون، ص4.

أرسطو، ص4،24،40،42.

(ب)

بروتاغوراس، ص43.

برادلي، ص45.

(ج)

الجرجاني،ص3.

جلال الدين الرومي، ص25،26،33.

(هـ)

هيجل، ص27،40.

هرمان هيسة، ص24.

(ح)

حسين المجيب المصري، ص26.

(ك)

كارل ماركس، ص5.

(ل)

لابينتز، ص46.

(م)

ماسينيون، ص26.

محي الدين ابن عربي، ص27،32.

مُحَمَّد البهي، ص27.

مُحَمَّد قطب، ص34.

مير حسام الدين، ص15.

مير حسن، ص15.

معاوية بن جاهمة السلمي، ص29.

(ن)

نور بن مُحَمَّد، ص14،15.

النظام، ص3.

(س)

سقراط، ص4،23.

(ع)

عبد الوهاب عزام، ص27.

عبد الكريم الجيلي، ص32.

عبد المجيد النجار، ص2،10،11،12.

علي شريعتي، ص2،11،12.

(ف)

فرويد، ص5.

فريدريك نيتشه، ص27.

(ر)

رينيه ديكارت، ص39،40،43،46.

(ت)

تشارلس داروين، ص5.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

ثانيا: المصادر:

1. ابن منظور، لسان العرب، ط:1، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج6.
2. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج2وج3.
3. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، (د.ط)، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج1.
4. الجرجاني، التعريفات، (د.ط)، بيروت، مكتبة لبنان، 1985م.
5. النسائي، السنن الصغرى، كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، رقم3104، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط:2، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1406هـ-1986م، ج6.
6. عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418م.
7. العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، رقم 1089، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط:1، المكتبة العصرية، 1420هـ-2000م، ج1.
8. مُحَمَّد إقبال، بيام مشرق، ترجمة: عبد الوهاب عزام، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م.
9. مُحَمَّد إقبال: ديوان مُحَمَّد إقبال، إعداد: عبد الماجد الغوري، ط:3، بيروت، دار ابن كثير، 1428هـ-2007م، (في جزئين).
10. مُحَمَّد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة: عبد الوهاب عزام، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م.
11. مُحَمَّد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط:2، دار الهداية، 1421هـ-2000م.

ثالثا: المراجع:

12. إبراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية –نموذج الفارابي–، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
13. أبو الحسن علي الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط:4، الكويت، دار القلم، 1403هـ-1983م.
14. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، حقيقة الإنسان بين المسؤولية والتكريم، (د.ط)، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، (د.ت).
15. أحمد خواجة، الله والإنسان في الفكر العربي والإسلامي، ط:1، بيروت، منشورات عويدات، 1983م.
16. الألباني، شرح العقيدة الطحاوية، ط:2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1414هـ.
17. بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقده للحداثة، ط:1، بيروت، 2001م.
18. جاويد إقبال، النهر الخالد، تعريب: ظهور أحمد أظهر، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
19. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط:3، بيروت، دار الطليعة، 2006م.
20. زكي الميلاد، مُحَمَّد إقبال والتجديد الديني والفلسفي، ط:1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008م.
21. زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، (د.ط)، القاهرة، مكتبة مصر، 1937م.
22. حسن حنفي، مُحَمَّد إقبال فيلسوف الذاتية، ط:1، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2009م.
23. حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط:1، القاهرة، مؤسسة مختار، 1987م.
24. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط:2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ، 1983م.
25. مُحَمَّد الساعدي، مُحَمَّد إقبال اللاهوري عبقري الفكر والإصلاح، ط:1، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، 1435م-2014م.
26. مُحَمَّد سبيلا، مدارات الحداثة، ط:1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009م.
27. مُحَمَّد العربي بوعزيزي، مُحَمَّد إقبال فكره الديني والفلسفي، ط:1، دمشق، دار الفكر، 1999م.

28. مُحَمَّد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط:10، القاهرة، دار الشروق، 1409هـ-1989م.
29. مُحَمَّد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط:6، بيروت، دار الشروق، 1403هـ-1983م.
30. مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م.
31. نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ط:1، القاهرة، الصحوة، 1437هـ-2015م.
32. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ط:1، بيروت، مكتبة لبنان، 1998م، ج1.
33. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
34. عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، ط:4، القاهرة، نهضة مصر، 2005م.
35. عبد الوهاب عزام، مُحَمَّد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
36. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ط:1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م، (في جزئين).
37. عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط:3، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2000م.
38. علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة: عباس الترجمان، ط:2، بيروت، دار الأمير، 1428م-2007م.
39. رائد جميل عكاشة وآخرون، الفلسفة في الفكر الإسلامي قراءة منهجية ومعرفية، ط:1، بيروت، 1433هـ-2012م.
40. خالد مُحَمَّد عبده، معنى أن تكون صوفيا، ط:2، القاهرة، مركز المحروسة، 2018م.
41. غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ط:1، جدة، المكتبة العصرية الذهبية، 1467هـ-2006م، ج1.

رابعا: الرسائل الجامعية:

42. بلحمام نجاة، ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر مُحَمَّد إقبال، دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، الجزائر، 2001م-2012م.
43. دلال تليلاني، الإنسان عند مُحَمَّد إقبال، ماستر 2، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2011م-2012م.
44. اللاَّن نجاج وسعد الله وداد، نظرية الإنسان عند مُحَمَّد إقبال، ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم اجتماعية، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-، الجزائر، 2015م-2016م.
45. خليل الرحمان عبد الرحمان، مُحَمَّد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404هـ-1405هـ.
46. عماري أمال ومرابطي نعيمة، التجديد الحضاري عند مُحَمَّد إقبال، ماستر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2014م-2015م.

خامسا: المجلات والدوريات:

47. أبو اليزيد العجمي: "حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم"، مجلة: دعوة الحق، العدد:22، 1983م، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.
48. أنيسة زغدود: "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند مُحَمَّد إقبال".
49. بدران مسعود بن لحسن: "المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي عند العلامة مُحَمَّد إقبال"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:84، 1437هـ-2016م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
50. بيبي مرزوق، "مفهوم الذات عند مُحَمَّد إقبال"، مجلة: دراسات،جامعة معسكر، 2010.
51. مُحَمَّد أعظم الندوي: "الذات في أدب إقبال مفهومها ومعالم بناءها ودورها في النهوض الحضاري للأمة"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:84، 1437هـ-2016م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
52. مصطفى فاضل كريم خفاجي: "الخطاب التجديدي عند مُحَمَّد إقبال الوجود أنموذجا"، مجلة: مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد:4، 1016م، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والأدب.

53. عاشور مزيلخ، "أفق الخطاب النقدي ومنطلقاته المعرفية والفكرية والفلسفات في مشروع إقبال الحضاري"، مجلة: الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:84، 1437هـ-2016م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

54. فهمي النجار: "مرتكزات الصحوة الإسلامية عند مُحَمَّد إقبال"، مجلة: الشاعر والمفكر الإسلامي مُحَمَّد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي-تأثيره وتأثره-، العدد:38، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب البلاد العربية.

فهرس الموضوعات

الإهداء.....ب

شكر وعرفان.....ج

مقدمة.....هـ

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.....2

المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحا.....2

المطلب الثاني:تعريف الإنسان في الأديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة.....3

المطلب الثالث: تعريف الإنسان في الدراسات العقدية المعاصرة.....10

المبحث الثاني: الإنسان عند إقبال.....14

المطلب الأول: مُحَمَّد إقبال ترجمة موجزة.....14

المطلب الثاني: مفهوم الإنسان عند إقبال.....16

المطلب الثالث:دوافع الاهتمام بالإنسان عند إقبال.....22

المطلب الرابع: نماذج إنسانية في فكر إقبال.....28

المبحث الثالث: الإنسان بين فكر إقبال والحداثة الغربية.....39

المطلب الأول: العقلانية.....39

المطلب الثاني: الذاتية.....43

المطلب الثالث: الحرية.....45

خاتمة.....50

فهرس الآيات القرآنية.....53

فهرس الأحاديث النبوية.....55

فهرس الأعلام.....56

فهرس المصادر والمراجع.....60

فهرس الموضوعات.....65

ملخص البحث.....67

ملخص البحث:

لقد تم التطرق في هذه الدراسة إلى موضوع الإنسان من حيث هو أحد المواضيع الجادة والمهمة في الفكر العقدي الإسلامي المعاصر. وقد اتخذنا من مُحَمَّد إقبال أنموذجا لدراستنا هذه، من حيث أنه قد اهتم بقضية "الذات الإنسانية" وجعلها أساساً ومركزاً لفكره. وقد حاولنا الوقوف على ذلك بتحليل نصوصه واستنباط ما يخدم بحثنا. وانتهينا في الأخير إلى أهمية موضوع الإنسان في العقيدة الإسلامية في رؤية تتمايز تماماً عن المفهوم والأهمية الذي تعطيه فلسفة الحداثة الغربية للإنسان.

Research Summary

In this study we discussed the man subject interms of the most important topics in the contemporary creed's thought; we took Muhammad Iqbal as a model for our study because he is interested in "the human self-cause" and made it abassis and a center of his thought. we tried to find out it by analyzing his texts and devising what serves our research.

We finally came to the importance of human subject in the Islamic creed in vision that is completely different from the concept and importance given to man by the western modernity philosophy.